وَجَاهَة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة
(١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ إبراهيم السيد شحاتة عوض
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة موضوع: وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م من الناحية التاريخيَّة؛ ذلك العصر الذي ازدهرت خلاله دراسة الفقه بفضل وجود عدد من الفقهاء الكبار، أمثال: الفقيه أسد بن الفرات، والفقيه سحنون بن سعيد وأصحابه، مِمَّن تحقَّقَتْ لهم – بحسب المعلومات الواردة عنهم في كتب التراجم– وجاهةٌ علمية واجتماعيَّة سارت جنبًا إلى جنب مع وجاهة السلطان ووجاهة الأغنياء، بل وتفوَّقت عليهما في بعضِ الأحيان بفضلِ المكانة التي اكتسبوها في المجتمع، وذلك من خلال ثقة الناس فيهم وتقديرهم لهم. وقد كشف البحث عن أنَّ هذه الوجاهة قد اعتمدت على عدة معايير، وكان لها مظاهرها وآثارها التي دلَّت عليها، بالإضافة إلى أنَّ الفقهاء كان لهم دور واضح في إعلاء شأن الفقه وإقامة وجاهة الفقهاء بالأقوال والأفعال.

الكلمات المفتاحيَّة: وجاهة؛ الفقيه؛ إفريقيَّة؛ الأغالبة.

(*) **مجلة "وقائع تاريخية"، العدد (٣٥)، يوليو ٢٠٢١، الجزء الثاني.**

Abstract:

This research aims to study the topic: The prestige of the Jurist in Ifriqiya during the Aghlabid Era 184-296 AH/800-909AD, during which the study of jurisprudence flourished thanks to a number of great jurists who were contemporary to the Aghlabid state, such as: the jurist Asad bin Al Furat, the jurist Sahnoun bin Saeed and his companions, who achieved social prestige that went hand in hand with the prestige of the Sultan and the prestige of the rich and in some cases even surpassed them thanks to the status they gained in society through people's trust and appreciation for them. The research revealed that this prestige was based on several criteria, and had its manifestations and effects that indicated it, in addition to the fact that the jurists had a tangible role in raising the status of science and scholars at the level of saying and doing.

key words: prestige; The Jurist; Ifriqiy; Aghlabid.

المقدمة:

وصَف القرآنُ الكريم مكانةَ نبي الله موسى -عليه السلام- وصفًا بليغًا فقال: (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) [١]؛ أي: له وجاهة وجاه عند الله سبحانه وتعالى، ومن هذه الوجاهه أنَّه عندما شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، أجاب الله سؤاله قائلًا :(وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا)[٢].

وتبلغ وجاهةُ الإنسان أوجَها عندما يجمع بين العلم والإيمان، مصداق ذلك قوله سبحانه وتعالى :(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [٣]. وكذلك قولُه :(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم) [٤]. وقد علَّق الإمام ابن جماعة على هذه الآية

الأخيرة بقوله: "بدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه، وثنَّى بملائكته، وثلَّث بأهل العلم، وكفاهم بذلك شرفًا وفضلًا وجلالة ونُبْلًا"(٥).

وجاء في صحيح البخاري من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَنْ يُرِدْ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدّين"(٦).

وإذا نظرنا إلى إفريقية خلال عصر الأغالبة (١٨٤–٢٩٦هـ/٨٠٠–٩٠٩م) فسنجد أنَّ دراسة الفقه كانت تمثِّلُ الهدفَ الرئيس لطلاب العلم (٧)، أسهم في ذلك وجود قامات علمية كثيرة وبارزة جذبت إليها طلاب العلم، ولعلَّ أشهر هذه القامات الفقيه سحنون بن سعيد (٨) (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) الذي وصلت به – وبأصحابه – المدرسة الفقهية إلى أوج ازدهارها وانتشارها، فقد مثلوا وجوه الناس في وقتهم، يقول المالكي:"لمَّا قدم أسد (٩) من المشرق نزل القيروان، وسمع منه المعروفون بصحبته ووجوه أهلها كسحنون وأمثاله في ذلك الوقت"(١٠).

وبمراجعة كتب التراجم يتضح أنَّ إفريقيّة خلال عصر الأغالبة قد عجَّت بعدد كبير من الفقهاء الذين حققوا –حسبَ المعلومات الواردة– جاهًا لم يقل عن جاه السلطة الحاكمة، من حيث المكانة التي احتلوها في قلوب الناس والمنبثقة عن السلطة الروحية لهم، وهو ما جعل بعض الأمراء يحرصون على التقرُّب منهم في أوقات الأزمات؛ لعلمِهم بوزنهم المؤثِّر في موقف عوام الناس (١١)، كما جعلهم يغارون منهم ويخشونهم على ملكهم في بعض الأحيان (١٢)، ويقفون صامتين أمام توبيخ بعض الفقهاء لهم في أحيان أخرى (١٣).

ولأهمية وجاهة الفقيه ودورها في تمكينه من القيام بدوره في المجتمع، آثَرْتُ بحثَها وتناولها من الناحية التاريخيَّة، وذلك تحت عنوان :(وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة ١٨٤–٢٩٦هـ/٨٠٠–٩٠٩م).

ولتحقيق ذلك بدأت بتمهيد عرَّفْتُ فيه بدولة الأغالبة، ثمَّ تحدَّثْتُ فيه عن

الفقه والفقهاء في إفريقيَّة قبيل عصر الأغالبة، ثمَّ تطرقت لموضوع البحث، وذلك من خلال الحديث عن معايير تحقيق وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة، ومظاهر تحقُّق هذه الوجاهة، ودور الفقهاء في إعلاء شأن الفقه وإقامة وجاهة الفقهاء.

وقد تمثَّلت الدراسات السابقة في بعض الدراسات التي ركَّزت على دراسة الدور السياسي للعلماء خلال عصر الأغالبة، وعلى رأسها الدراسة المهمة التي جاءت تحت عنوان: الدور السياسي للعلماء في دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م) [١٤]. ومن المعلوم أنَّ مصطلح العلماء يشمل الفقهاء وغيرهم، فضلًا عن عدم تطرُّق الدراسة المذكورة لموضوع الوجاهة.

ويُقْصَدُ بالفقيه في مصطلح هذه الدراسة كلّ من تفقَّه في الدين ووصفته المصادر بأنَّه درس الفقه وصار فقيها، دون غيره ممن ارتبطت أسماؤهم بالعلم والدين، كاللغويين [١٥]، والمحدثين [١٦]، والصلحاء [١٧]، وغيرهم مِمَّن أطلق عليهم بعض الباحثين لفظ (فقيه)، ومنهم: الخطباء، والقضاة، والمشاورون، والمفتيون، والعدول [١٨].

أمَّا الوَجَاهةُ: بفتح الواو والجيم فهي مصدر الفعل (وَجُهَ)، وتعني في اللغة الجاه والقَدْر المرموق والمنزلة. يُقال: (رجلٌ وجيه): ذو وجاهة. وقد وَجُهَ الرجل (بالضم): صار وجيهًا؛ أي: أصبح ذا جاه وقَدْر، وله حظٌ ورُتْبَة. و(وجوه القوم): سادتهم، وواحدهم (وَجْهٌ)، وكذلك (وجهاؤهم): وواحدهم (وجيهٌ) [١٩].

معنى ذلك أنَّ الوَجَاهة في اللغة تشير إلى: الحظ، والمنزلة، والرُّتبة، والقَدْر، والرِّفْعة والهيبة.

ولا يختلف معنى الوجاهة في الاصطلاح كثيرًا عن معناها في اللغة؛ حيث تُطلقُ على (السِّيادة). والمتَّصِف بالوجاهة يُسَمَّى وجيهًا، وهو في الاصطلاح من كانت فيه خصال حميدة من شأنه أنْ يُعْرَفَ ولا يُنْكَر. والجاه والوجاهة: القدر والمنزلة [٢٠] والرئاسة [٢١]، فقد جاء في (المبسوط) "أنَّه إن كان عدلًا فقد

نال بعض الوجاهة في الدنيا بسبب تقلد القضاء، فلهذا له في الآخرة، لما نال من الجاه في الدنيا بطريق هو طريق العمل للآخرة [٢٢]. وجاء في (طرح التثريب) ما نصُّه "الحظوة: وهي الوجاهة وارتفاع المنزلة"[٢٣].

وقد عرَّف القاضي عياض بأحد الفقهاء المغاربة فقال: "وكانت له وجاهة في العلم مع فضل وورع"[٢٤]. في حين عرَّف المالكي بفقيه آخر فقال: "وكان عظيم الجاه رفيع القَدْر"[٢٥]، ووصف غيرَه بأنه كان له "هيبة عظيمة"[٢٦].

والخلاصة أنَّ هذه النصوص –وغيرها– تثبت أنَّ الوجاهة في الاصطلاح لم تخرج عن معناها اللغوي؛ فهي تُذكر ويُقصد بها الوجاهة الاجتماعيَّة التي تعني القَدْر وارتفاع المنزلة، وهو التعريف الإجرائي الذي سيتمُّ عرضُ البحث من خلاله.

التمهيد:

١- التعريف بدولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م):

انتهى عصر الولاة في إفريقيَّة [٢٧] بقيام دولة الأغالبة سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م)، والتي تُعَدُّ أوَّل دولة مستقلَّة في إفريقيَّة [٢٨]. وتُنْسب هذه الدولة إلى مؤسِّسها الأمير إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي الذي وُصِف بأنَّه كان فقيهًا عالمًا بالحروب ومكايدها [٢٩]، وكان قد طلب ولايةَ إفريقية من الخليفة العباسي هارون الرشيد سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) على أنْ يحملَ هو من إفريقية إلى بيت مال العباسيين أربعينَ ألف دينار، فكتب له الرشيدُ بالعهد عليها منتصف سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م)، فقام بالولاية وضبط الأمور بنفسه [٣٠]، مؤسسًا بذلك دولة سنيَّة قويَّة تتبع الخلافة العباسيَّة تبعيَّة اسميَّة فقط. وقد استمرَّت هذه الدولة قائمة يتوارث حكمَها أبناءُ البيت الأغلبي إلى أنْ سقطت على يد الفاطميين الشيعة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) [٣١].

٢- الفقه والفقهاء في إفريقيَّة قبيل قيام دولة الأغالبة:

بدأ التفقُّه في الدين يعرف طريقه في إفريقيَّة عندما بعث إليها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) عشرةً من فقهاء التابعين من أهل العلم والفضل [٣٢] يفقِّهُون أهلها في الدين، فتخرَّج على أيديهم الرعيلُ الأول من فقهاء إفريقيَّة متمسكًا بما عليه هؤلاء من تقيُّدٍ بالكتاب وتشبُّثٍ بالسُّنَّة وابتعادٍ عن البدع [٣٣]. وقد طمح هؤلاء إلى الاستزادة من العلم الديني، فاتجهوا إلى المدينة المنوَّرة؛ كي يأخذوا الحديثَ والعلم عن أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرِهم تمسكًا بمثُلِه العليا، فوجدوا بقيَّةً من الصحابةِ ونفرًا من التابعين يلقِّنُون الناس أصولَ الإسلام، فأخذوا عنهم وعمَّن بمصر، وهم في طريقهم إلى المدينة، ثمَّ عادوا إلى بلادهم، واستقرُّوا بها مع غيرهم من التابعين الموجودين بإفريقيَّة منذ حملات الفتح، وأقبلوا على الناس يعلِّمونهم ويُرشدونهم إلى أمور دينهم ودنياهم، ويجتهدون في حلِّ ما يُعْرَض لهم من مشاكل الحياة اليوميَّة، اعتمادًا على ما في القرآن أو الحديث أو على القياس الواضح والاستنتاج الصحيح. وقد ظهر حولَ كلٍّ فقيه منهم جماعةٌ حَرَصَت على السَّيْر في طريقه، برزَ البعضُ منها فانضمَّ إلى تدريس الفقه مباشرة، وتحوَّلَ البعضُ الآخر إلى المشرق مستزيدًا من العلم، حتى إذا ما عاد اشتغل بتدريس الفقه [٣٤].

وقد أقبل أصحاب الرحلات العلميَّة من فقهاء إفريقيَّة على إمام المدرسة المالكيَّة الحجازيَّة (مالك بن أنس ت١٧٩هـ/٧٩٥م) الذي اشتُهِرَ بأنَّه حُجَّةٌ في الحديث، وأنَّ مذهبه يكمن في الاعتماد على النصوص من الكتاب والسُّنَّة واستخدام الرأي لاستنباط الأحكام الشرعيَّة منها، مع الابتعاد عن التأويل والاقتصاد في القياس ما أمكن، فأقبل على مجالسه الطلبةُ الأفارقة، فوجدوا فيها بُغْيَتَهم ومُرَادَهم؛ فهو يدرِّس بمدينة رسول الله، ولذا فهو -في عرفِهم- أقربُ

إلى روح الإسلام مِمَّن يدرِّسون بالكوفة أو البصرة أو الشام، كما أنَّه يلتزمُ الكتاب والسنَّة، ولا يُفْتِي إلَّا بحذرٍ شديد، وبعد بحثٍ طويل في آيات الكتاب وصحيح الأحاديث، وتكادُ لا تَخْطُرُ مسألةٌ إلَّا وجد لها أصلا في القرآن أو السنَّة يقيسُ عليه، فإذا لم يجد توقَّفَ عن الإفتاء والحكم. وإزاء ذلك أعجب به أهل إفريقيَّة حتَّى عَدُّوه إمامَهم المفضَّل، ومثلَهم الأعلى في تفكيره وعلمه وسلوكه، وحتَّى في ملبسِه. كما أُعجب هو بهم وبنجابتِهم، فكان يجلّهم ويوسِّع لهم في مجلسه، ويسمح لهم بالإدلاء بآرائهم فيما يُعرض له من قضايا في مجلسه، بل ويتتبَّع أخبارهم في إفريقيَّة [٣٥]. وقد نتج عن ذلك أنْ أخذ مذهب مالك يتحسَّس طريقه إلى إفريقية مع هؤلاء الفقهاء الذين مثَّلوا البداية التي هيَّأت إفريقيَّة بعد ذلك لوضع أسس المالكيَّة بها [٣٦] على أيدي الفقهاء المعاصرين لدولة الأغالبة، وعلى رأسهم: أسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد صاحب المدوَّنة التي أضحت عمدة المذهب المالكي ومستنده الأول[٣٧].

والافت للنظر أنَّه على المستوى النظري كان التمييز بين الفقيه والقاضي والعابد واضحًا في إفريقيَّة منذ البداية، وهو ما ظهر بوضوح في تعليق الإمام مالك على تلامذته المنتسبين إلى مدينة القيروان، يقول المالكي: "نظر مالك إلى البُهْلُول [٣٨] فقال: هذا عابد بلده. ونظر إلى عبدالله بن غانم [٣٩] فقال: هذا قاضي بلده. ونظر إلى عبدالله بن فرُّوخ [٤٠] (ت١٧٦هـ/٧٩٢م) فقال: هذا فقيه بلده. فكان كما قال"[٤١]. هذا فضلًا عمَّا ذكره بعضُ أصحاب ابن غانم له – بعد حضوره صلاة الجمعة– مِنْ أنَّ المسجد الجامع بمدينة القيروان كان به سبعون قَلَنْسُوَة تصلح للقضاء وثلاثمائة قَلَنْسُوَة فقيه [٤٢].

غيرَ أنَّ الواقعَ –الذي يكشف عنه تراجم هؤلاء– يفضي إلى أنَّ القاضي والعابد كانا يخرجان من عباءة الفقيه، فقد "كان البُهْلُول من الفقهاء لكن غلبت عليه العبادة، وابن غانِم فقيهًا لكن لمَّا ولي القضاء غلب عليه اسمُه"[٤٣]. كما

كان ابن فرُّوخ (ت١٧٦هـ/٧٩٢م) فقيهًا عابدًا، يؤكِّد ذلك أحدُ أصحابه بقوله: "فوالله الذي لا إله إلَا هو، ما رأيتُ بهذين العينين شابًّا أعبدَ لله من ابن فرُّوخ"[٤٤]. وكان أبو الأَحْوَص[٤٥](ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) فقيهًا غير أنَّ العبادة كانت أغلب عليه من الفقه [٤٦].

هذا؛ وقد أخذت وجاهةُ الفقهاء في المجتمع تتشكَّل مع نهاية عصر الولاة، فقد جاء في ترجمة الفقيه ابن فرُّوخ (ت١٧٦هـ/٧٩٢م) ما نصُّه: "وكان الناس يتبرَّكون به، ويجلسون له على طريقه إذا خرج، يغتنمون منه دعوة وموعظة"[٤٧]. كما أنَّ الفقيه البهلول (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) أنكر على آخر ولاة إفريقيَّة محمد بن مقاتل العَكِّي (١٨١-١٨٤هـ/٧٩٧-٨٠٠م) مهادنتَه لملك الروم وموافقته على طلبه بإرسال النحاس والحديد والسلاح إليه، فلما عزم على أن يرسل ذلك إليه اعترضه البهلول ووعظه وأعلن أنَّ ذلك لا يجوز، فبعث إليه العكِّي وضربه، فتغيَّر الناس على العكِّي تغيُّرًا كبيرًا بسبب ذلك [٤٨].

وقد زادت هذه الوجاهة خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) وما تلاه من عصور، لدرجة أنَّ الناس كانوا يعدُّون صفة (الفقيه) من نُعُوت الشَّرف والرفعة والوجاهة[٤٩].

أولًا. معايير تحقيق وجاهة الفقيه في إفرِيقيّة خلال عصر الأغالبة:

حظي العلماء -بوجه عام- باحترام الناس والحكَّام وتقديرهم، فتحققت وجاهتُهم في المجتمع الأغلبي [٥٠]. وكانت هذه الوجاهة تتحقق أكثر وأكثر إذا كان العالم فقيهًا "حاملًا للعلم الديني"[٥١] الذي يحقق للفقيه وجاهة وسلطةً معنوية[٥٢] وزعامة روحيَّة [٥٣] تعتمد على الحجة والبرهان[٥٤]، وتفوق -أحيانًا- وجاهة أهل الأموال من الأغنياء[٥٥]، ووجاهة السلطان، مثلما كان الحال مع

الفقيه سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) الذي كان "وقورًا مُهَابًا"، لدرجة دفعت أحد معاصريه لأنْ يقول :"دخلتُ على الملوك وكلمتهم فما رأيتُ أهيب في قلبي من سحنون"(٥٦).

وقد ظهرت وجاهة الفقيه بصورة واضحة خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) في موقف الناس من الفقيه يحيى بن عمر(٥٧) (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) الذي "كان إذا انصرف من الجامع تبعه النَّاس"(٥٨)، فقد كان جليلًا في قلوبهم، عظيمًا في أعينهم (٥٩). كما ظهرت أيضًا في مكانة الفقهاء عند الأمراء ورجالهم؛ فقد كان الفقيه أحمد بن معتِّب(٦٠) (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) "لطيف المكانة من إبراهيم بن أحمد (الأمير)؛ كان يكتبُ إليه إبراهيمُ: يا أخي في الإسلام وشقيقي في المحبَّة"(٦١)، وعندما توفي أُغْلِقَتْ الحوانيتُ؛ كرامةً له، يقول القاضي عياض :"وأغلقت الحوانيت كأنه يوم عيد ... ونوديَ على جنازته: أيها الناس لا تفوتكم جنازة أحمد بن معتب شهيد القرآن"(٦٢). وكان الوزير الأغلبي ابن حُميد يجلُّ محمد بن سحنون (٦٣) (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) ويعظِّمه ويكبِّره (٦٤)، وعندما توفي بساحل إفريقيَّة، "أُتِيَ به إلى مدينة القَيْرَوَان، وخرجَ النَّاس لدفنه، وغُلِّقَت الكتاتيبُ والحوانيتُ من أجله"(٦٥).

هذا؛ وقد اعتمدت وجاهة الفقيه في إفريقية خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) على عدة معايير، يمكن إجمالُها في النقاط التالية:

(١) معيار التمكُّن من الفقه:

جاء معيار تمكُّن الفقيه من الفقه على رأس المعايير التي تحققت بها وجاهةُ الفقيه في إفريقية خلال عصر الأغالبة (٦٦)، فقد كان أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) لا يملك شيئًا ماديًّا عند وصوله إلى إفريقية، ومع ذلك حقَّق بفقهه جاهًا علميًّا عريضًا (٦٧)، بعدما تحققت له الرياسة في القيروان بفضل

كتبه التي ألَّفها في الفقه [٦٨]، فلمَا مات قال بعضهم: "اليوم مات العلم"[٦٩].

وجاء تمكُّنُ الفقيه ابن أبي حسان اليَحْصُبِي [٧٠] (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م) من الفقه على رأس الأمور التي حقَّقت له جاهًا وشرفًا في إفرِيقيّة؛ حيث وُصِف بأنَّه كأنما كان في يده مفتاح لما انغلق من مسائل الفقه [٧١].

وكان الفقيه سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) بارعًا في الفقه، بعدما سمع بإفريقيَّة، ثمَّ رحل إلى المشرق، فسمع بمصر وبالمدينة وبالشام وبمكة، ثمَّ عاد فأظهر علم أهل المدينة بالمغرب، وكان أوَّل من أظهره [٧٢]، ولذا فقد سلَّم له بالإمامة أهلُ عصره وأحبوُّه، وأجمعوا على فضله وتقدُّمِه ووجاهته، فأخذ الناس عنه دينَهم، وصدَّقوه في الدين وائتمنوه عليه [٧٣].

وقد اشتهر الفقيه أبو داود العطَّار [٧٤] (ت٢٤٤هـ/٤٨٥م) بقوة فقهه، ولذا فقد "أخذ عنه الناس، وكان ثقة"[٧٥]، مما أسهم في تحقيق شهرته ووجاهته، مصداقُ ذلك قول الخُشَنِي عنه: "وهو معدود في أصحاب سحنون، وكان من ذوي الوجاهة والتقدم"[٧٦]. وقد أكَّد ذلك القاضي عياض بقوله: "كان ظاهر الوجاهة والتقدّم"[٧٧].

وكان بَيْتُ أبي داود السابق بيتَ علم بمدينة القيروان، حظي أهلُه بشهرة واسعة بفقههم، فتحققت لهم به الوجاهة والسُّؤْدَدُ، فقد ترجم الدباغ لابنه محمد (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) قائلًا :"سمع من والده أبي داود ومحمد بن سحنون ... أخذ عنه الناس، وكان فقيها عالما ثقة من أهل العدالة عند القضاة والحكام"، ثم استطرد قائلًا :"كان بيت أبي داود العطار أحد بيوتات العلم بالقيروان، وكان جدُّه موسى بن حريز مولده سنة خمس وخمسين ومئة، فنشأ طالبًا للعلم، وسمع من علماء ذلك الزمان، ثمَّ ولد له أحمد أبو داود سنة ثلاث وثمانين، فنشأ في طلب العلم، وسمع من أكابر الرجال كسحنون بن سعيد، ثم ولد لأحمد محمد هذا، فأقامت لهم الرئاسة وَسُؤْدَدِ العلم نحو مائة وثمانين سنة" [٧٨].

وكان الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) "إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب، جامعًا لخلال قلَّ ما اجتمعت في غيره من الفقه البارع، والعلم بالأثر والجدل والحديث"[٧٩]، حتَّى قِيل عنه: "لم يكن في عصره أحدٌ أجمع لفنون العلم منه، ألَّف في جميع ذلك كُتُبًا كثيرة تنتهي إلى المائتين"[٨٠]. وقد أسهم ذلك في جعله "وجيهًا عند الملوك والعامة"[٨١].

وجاء في ترجمة الفقيه يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ/٩٠١م) أنَّه كان "فقيهًا حافظًا للرأي، ثقة، ضابطا لكتبه ... سكن القيروان، فشرفت بها منزلتُه عند العامة والخاصة، ورحل الناس إليه، لا يروون المدونة والموطأ إلَّا عنه، وكان يجلس في جامع القيروان ويجلس القارئ على كرسي يُسْمِعُ من بَعُدَ من الناس لكثرة من يحضره ... وكانت له منزلة شريفة عند الخاصة والعامة والسلطان"[٨٢].

كما كان الفقيه ابن البَنَّاء[٨٣] "أفخَمَ سُؤْددًا وأعظمَ جاهًا" بفقهه[٨٤]، لدرجة جعلت الأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) يقول عنه -بعد أنْ رأى تفوُّقه في مناظرةٍ جَرَتْ أمامَه-: "إنِّي أرى هذا الرجل استحقَّ أنْ تُنْزَعَ قَلَنْسُوة القاضي وتُجعل في رأسه"[٨٥]. ثمَّ ضمَّه بعد ذلك إلى كِتَابَةِ القاضي عيسى بن مسكين[٨٦] (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)؛ كيْ يستشيره في المسائل الفقهية[٨٧].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أبرز علامات تمكُّن الفقيه من الفقه وبراعته فيه إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) كانت تتمثَّل في عدة أمور، جاء على رأسها: سماع الفقيه الفقه من الإمام مالك[٨٨]، وقوة حفظ الفقيه للفقه المالكي[٨٩]، وقدرة الفقيه على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة[٩٠].

وعلى الرغم من أهمية معيار تمكُّن الفقيه من الفقه في تحقيق وجاهته؛ فإنَّه لم يكن المعيار الوحيد الذي اعتمدت عليه هذه الوجاهة، دليلُ ذلك وجودُ فقهاء وُصِفوا بالوجاهة رغم عدم تمكُّنهم من الفقه بشكل كبير، ومنهم الفقيه

أحمد بن سليمان[٩١] (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) الذي كان "فاضلًا وجيهًا" على الرغم من أنه "لم يكن معدودًا في أهل الحفظ، ولا في أهل المعرفة بما دقَّ من العلم"[٩٢]. وكذلك الفقيه أبو المِنْهَال [٩٣] الذي كان "عظيم الجاه رفيع القَدْر"[٩٤] على الرغم من أنَّ علمَه بالفقه كان علمًا متوسطًا [٩٥]، حتَّى روي أنَّه سُئِل عن بعض المسائل الفقهيَّة فأخطأ فيها [٩٦].

معنى ذلك أنَّ وجاهة الفقيه في إفريقيَّة إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) لم تتحقَّقْ بسب فقهه فقط؛ فمعيار التمكُّن من الفقه كان -رغم أهميتِه- واحدًا بين عدة معايير أخرى أسهمت في تحقيق هذه الوجاهة، وهو ما سيكشف عنه العرض القادم.

(٢) معيار الصلاح والورع:

كان معيار الصلاح والورع من المعايير الحاكمة التي أسهمت -مع معيار التمكُّن من الفقه- في تحقيق وجاهة الفقيه خلال العصر الأغلبي (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)[٩٧]، فكلما كان الفقيه عالمًا صالحًا تحقَّقت وجاهتُه الاجتماعيَّة عند الناس بشكل كبير[٩٨]، مثلما كان عليه الفقيه زكرياء اللَّخْمي (ت٢٠٦هـ/٨٢١م) الذي كان عالمًا صالحًا ورعا[٩٩]، رفض أخذ مال أعطاه له الأمير زيادة الله الأول (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م)، ثمَّ قام وانصرف بعدما علم أنَّه أُخِذَ قهرًا من أهل بعض المدن، فلمَّا ولَّى جعل الأمير ينظر إليه ويقول :"لله دَرُّك يا ابن الحَكم"[١٠٠]. وقد أسهم ورع هذا الفقيه وصلاحه في علوِّ منزلته وتحقيق وجاهته عند الناس، وهو ما ظهر بوضوح في جنازته التي تكاثر الناس فيها وازدحموا على نعشه، فبقي النعش واقفًا في باب نافع (أحد أبواب القيروان)، لا يقدر الناس على أنْ ينفذوا به لكثرتهم، وظل الوضع قائمًا إلى أنْ صاح صائح في الناس: "معشر المسلمين! ازدحموا على عمله، ولا تزدحموا على نعشه"[١٠١].

وإذا راجعنا سِيَر الفقهاء خلال عصر الأغالبة، فسنجد أنَّ صفة الصلاح والورع كانت غالبة عليهم وملازمة لفقههم وعلمهم [١٠٢]، الأمر الذي أسهم في تحقيق وجاهتهم، مثلما حدث –مثلًا– مع الفقيه عَوْن الخُزَاعِي[١٠٣] (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م) الذي وُصِف بأنَّه كان "رجلًا صالحًا، ثقة مأمونًا"، مِمَّا جعل الجميع يعجبون به ويعترفون بوجاهته، سواء أكانوا من عوام الناس وخاصتهم أم من الحكَّام [١٠٤]. وكذلك الفقيه سحنون الذي جمع بين "الفقه البارع والورع الصادق"[١٠٥]، "فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب، وصار زمانُه كأنَّه مبتدأٌ وقد محا ما قبله، فكان سِراج القيروان"[١٠٦]. وكذلك الفقيه ابن غافق التونسي[١٠٧] (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) الذي كان موصوفًا بالورع مع العلم، مِمَّا أسهم في تحقيق هيبته ووجاهته بين الناس[١٠٨].

وقد أعرب سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) عن أهمية أنْ يجمعَ الفقيه بين العلم والصَّلاح بقوله: "مَثَلُ العِلْم القليل في الرجل الصالح مَثَلُ العين العذبة في الأرض العذبة، يزرع عليها صاحبها بقلًا وزرعًا فيُنْتَفَعُ به. ومَثَلُ العلم الكثير في الرجل غير الصّالح مَثَلُ العين الخرَّارة في الأرض السّبخة تهور[١٠٩] الليل والنهار لا يُنْتَفَعُ بها"[١١٠]. ولم يكتفِ سحنون بهذا التشبيه، بل قدَّم عليه الدليل حينما ذكر – أكثر من مرَّة – أنَّ البُهْلول بن راشد "كان رجلًا صالحًا، ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره، ولكن نفع الله تعالى به"[١١١].

وكان الفقيه سِقْلاب بن زياد الهَمَذاني [١١٢] (ت١٩٣هـ/٨٠٨م) يقول: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منَّا إلى كثير من العلم"[١١٣].

وجدير بالذكر أنَّ صفة الصلاح كانت من الركائز الرئيسة لثبوت وجاهة الفقهاء لدى الأمراء، وهو ما ظهر في موقف الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١–٢٢٣هـ/٨١٧–٨٣٧م) من قيام قائده أبي فهر بن عمرون بقتل الفقيه أبي الوليد الفارسي [١١٤] (ت٣١٨هـ/٨٣٣م) أثناء فتحه لمدينة تونس في

إحدى جولات الحرب مع منصور الطُّنْبذي الثائر على زيادة الله، وهو ما حكاه المالكي قائلًا: "فاستعظم ذلك زيادة الله وأنكره، وقال له: ما حملك على ذلك وما دعاك إلى قتله وهو رجل صالح عالم؟"(١١٥).

وإزاء ذلك كانت وَجَاهَةُ الفقيه تتأثّر بالسَّلب إذا قلَّ صلاحُه وورعه وظهرت عيوبُه حتَّى مع تمكنه من الفقه، فقد روى الخُشَنِي أنَّ الفقيه ابن الكحالة –الذي انتشر عنه الفقه بين أهل إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة– "قد كان ظهرَ سؤدُدُه وقام جاهُه، ثمَّ انقلبت به الحال، وانفرجت طريقتُه إلى طريقة التَّفَتُّكِ لولوعه بغلام كان يصحبه"(١١٦).

(٣) معيار الزهد في الدنيا وحب الفقر:

كان الزهد في الدنيا من المعايير المهمة في تحقيق وَجَاهَة الفقيه في إفريقيّة خلال عصر الأغالبة، وذلك من مُنْطلق مَيْلِ الناس لكلِّ سلطة تجسِّم المثلَ الإسلامي الخاص بالتقشُّف والزهد (١١٧)، ومن هنا كان الزهدُ من العوامل الرئيسة التي تحقَّقت بها وجاهة سحنون عند الناس (١١٨)، كما أنَّه كان معيارًا للتمايز بين أصحابه، فقد جاء في ترجمة الفقيه جَبَلَة بن حَمُّود (١١٩) (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) أنَّه كان "من أفضل رجال سحنون قد علاهم بالزهد"(١٢٠)؛ حيث لم ينل من الدنيا "إلَّا ما سدَّ جوعته وستر عورته"(١٢١). وهذا الحكمُ ينسحِبُ على معظم فقهاء المالكيَّة خلال العصر الأغلبي؛ فقد مالوا إلى حياة الزهد وفضَّلُوها، متأثرين في ذلك بالإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)؛ فهذا أبو خالد عبد الخالق الفقيه(١٢٢) (ت٢١٠هـ/٨٢٥م) كان لا يكتفي بتطبيق الزهد على نفسه (١٢٣)، بل كان يدعو إخوانه إلى ذلك، فقد نصح أخًا منهم قائلًا: "يا أخي، إنَّ الفقر مع الدِّين خيرٌ من الغِنَى مع الفجور، وارضَ من الدنيا باليسير، فإنَّ القليل منها يجزي، ولا تشتغل بحبها ولا بطلبها عن الآخرة التي لا غنى لك عنها ولا بدَّ لك منها. واعلم أنَّه ليس أحد ينظر لك إلَّا أن تنظر أنت

لنفسك"[١٢٤].

ومن هذا المنطلق لم يمثِّلْ الفقرُ "حاجزًا أمام تحقيق مكانة اجتماعيَّة في مجتمع يحكمه الورع مثلما يحكمه المال والجاه"[١٢٥]؛ فتدنِّي الوضع المعيشي لبعض الفقهاء لم يمنعهم من تحقيق الوجاهة في المجتمع الأغلبي، بل على العكس، فقد حظوا بمكانة عالية بين عناصر السكَّان؛ لما نالوه من مكانة روحية سامية يجلُّها ويقدرها الجميع[١٢٦]، وبخاصةٍ أولئك الذين كانوا على يقين مِنْ أنَّ السبب الرئيس وراء فقر معظم الفقهاء يتمثَّلُ في بُعْدِهم عن الخضوع والتملُّق للسلطان[١٢٧]، لدرجة أنَّ بعضَهم كان يخافُ من الغِنَى كما يخافُ الغَنِي من الفقر، فاكتسبوا بذلك تقديرًا واحترامًا وصاروا وجهاءً بين الناس الذين عَدُّوا ذلك "درجة عظيمة"[١٢٨] وصلَ إليها هؤلاء الفقهاء الفقراء. ولعلَّ الناس في ذلك كانوا متأثرين بقول سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): "إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتّهموه على دينكم"[١٢٩]. ومن هذا المنطلق لم يعوِّلوا كثيرًا في ثقتهم في الفقيه واستجابتهم له على معيار الغِنَى بقدر ما عوَّلوا على معيار الفقر الذي خلق نوعًا من العلاقة الارتباطية بين العامة وشريحة الفقهاء التي تشابهت حياتُها الاجتماعيَّة وملامح معيشَتِهم مع هؤلاء العوام الذين لم ينشغلوا كثيرًا بكثرةِ أموال بعضِ الفقهاء، فعلى الرغم من أنَّ الفقيه القِبْرِيَاني[١٣٠] (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) كان "من ذوي الأموال العريضة"، فإنَّ هذه الأموال لم تحقق له إلَّا "الجاه البسيط"[١٣١]؛ لأنَّ المال حينئذ لم يكن معيارًا رئيسًا للوجاهة عند العوام.

(٤) معيار البعد عن السلطان وعدم الانتفاع به:

مال فقهاء الحنفيَّة إلى التقرُّب إلى الأمراء الأغالبة والاستقواء بهم، فعرفوا بفقهاء السلطة، فأصبح لهم جاه عند الحكَّام فقط [١٣٢]، في حين مال فقهاء المالكيّة إلى التقرُّب إلى عوام الناس ودعمهم والتضامن معهم، ومراقبة السلطة الأغلبية وإبداء الملاحظات والانتقادات حيالها، والتصدِّي لتجاوزاتها ضدَّ

الناس[١٣٣]، فاكتسبوا بذلك تقديرهم وثقتهم، وتحققت لهم -بذلك- الوجاهةُ العلميةُ والاجتماعيَّة بعدما أصرُّوا على الابتعاد عن تملُّق الأمراء، ورفضوا بشدَّة قبول عطاياهم[١٣٤]. وكان الناسُ في ذلك مدعومين بنظرةِ الإمام سحنون إلى الفقهاء الذين يَصْحَبُون السلطان بأنهم غير صالحين، ولا ينفع الله بهم، حتَّى ولو كانوا بحورًا في العلم[١٣٥].

وقد تمثَّلَ الجانبُ الأكبر في ابتعاد الفقهاء المالكيَّة عن السلطة الأغلبية في رفضِ عددٍ كبيرٍ منهم تولِّي المناصب للأمراء الأغالبة حتَّى بلغ الأمرُ ببعضهم حدَّ الهرب؛ للتخلُّص من ذلك، مثلما فعل الفقيه أبو زكرياء الحُفْرِي[١٣٦] (ت٢٣٧هـ/٨٥١م) الذي هرب إلى المشرق؛ للتخلُّص من طلب الأمير زيادة الله الأغلبي (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٨٣٧م) له بالانضمام لخدمتِه لأجل علمه بالحساب[١٣٧]. وإزاء ذلك اضطرَّ بعضُ الأمراء إلى إجبار بعض هؤلاء الفقهاء على تولِّي القضاء بعد إلحاحٍ شديد وصلَ في بعض الحالات إلى التهديد [١٣٨]. ولا شكَّ أنَّ إصرار الأمراء على تولي الفقهاء الوظائف الهامة إنما يُعَدُّ اعترافًا ضمنيًّا منهم بأهمية الحضور المالكي الذي أصبح يحظى بتقدير كبير من كافة الناس، ويتحكَّمُ في توجيه موقفِهم من السلطة الأغلبية[١٣٩]. وفي مثل هذه الحالات كان الفقهاء يعتبرون قبولَ المنصب تحتَ التهديد نوعًا من الابتلاء [١٤٠] ومصدرًا من مصادر الكآبة [١٤١].

واللافت للنظر أنَّ هؤلاء الفقهاء كانوا يحرصون حرصًا شديدًا على إظهار براءة ذمتهم المالية أمام الناس إذا ما اضطرُّوا اضطرارًا إلى قبول تولِّي المنصب؛ حتَّى يحتفظوا بوجاهتهم الاجتماعيَّة وثقة الناس فيهم، فأبو مُحْرِز (ت٢١٤هـ/٨٢٩م) لمَّا وَلِيَ القضاء للأغالبة جمع كلَّ ما يملكه من عبدٍ وماشية وأخرجهم للناس قائلًا لهم: "هذا ما أملك، وإني قد أحضرت جميع مالي؛ لأريكم إيَّاه، فإنْ أنا زِدْتُ على ما ترون شيئًا فأنا خائن"[١٤٢]. أمَّا أبو

عمرو المغلوب[١٤٣] (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) فعندما ولي قضاء صِقلية آواخر عصر الأغالبة "اجتاز بسُوسَة إليها، فقال لأهلها: يا أهل سوسة؛ هذا كسائي، وهذا فروي وجبَّتي وخُرْجٌ فيه كتبي، وهذه السوداء تخدمني، معها جبة وكساء، فبهذا دخلت عليكم، وانظروا بأي شيء أرجع". وعندما انقضت فترة قضائه عاد إلى سُوسَة، فقال لهم: يا أهل سوسة، كما دخلنا عليكم كذلك رجعنا إليكم، هذا كسائي وجبتي وخُرْجِي فيه كتبي، وهذه السوداء تخدمني" [١٤٤].

ولا يخفى ما في النَّصَّيْن السابقين من حرص الفقهاء على الحفاظ على عدم اهتزاز صورتهم أمام الناس، وذلك عن طريق التأكيد على أنَّهم لن يحقِّقوا كَسْبًا ماديًّا من وراء تولِّي ولاية القضاء للأمراء الأغالبة، وهو ما يشير إلى أنَّهم قد فَطِنوا إلى أنَّ تحقيقَ هذا الكسب المادي من وراء تولِّي بعض الوظائف الرسميَّة من شأنه أنْ يؤثِّرَ بالسلب على وجاهتهم بين الناس؛ لأنَّه سيكون بمثابة الجرحة في إمامتهم، وذلك من منطلق أنهم قبلوا التكسُّب من أموال هؤلاء الأمراء، والتي كان مصدرها الرئيس الغصب وإثقال كاهل الرعيَّة بالضرائب الجائرة [١٤٥].

ومن هذا المنطلق قَبِلَ الفقيه سحنون ولاية القضاء للأمير محمد بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤١-٨٥٦م) "على ألَّا يرتزق له شيئًا"[١٤٦]؛ حيث أكَّد ذلك قائلًا: "فوالله لقد ابتليتُ بهذا القضاء وبهم –يقصد الأمراء الأغالبة– فوالله ما أكلت لهم لقمة، ولا شربت لهم جرعة، ولا لبست لهم ثوبًا، ولا ركبت لهم دابة، ولا أخذت لهم صلة"[١٤٧]. وفي ضوء ذلك نراه يترك طلاب العلم الذين يقصدونه، ويذهب للعمل في أرضه؛ حتَّى لا يحتاج إلى أموال الأمراء، فعندما سأله أبو سليمان الفقيه قائلًا :"يا أبا سعيد، كيف يسعك في دينك أنْ تدع الطلبة وحاجتهم إليك، وتخرج إلى البادية، فتقيم بها الشهور الكثيرة؟". ردَّ عليه قائلًا: "يا أبا سليمان، تريدُ أنْ ترى كُتُبِي في هذا الغدير؟" وأشار إلى ماء بين

يديه. فقال له أبو سليمان: "وكيف ذلك؟". قال: "أحتاج إلى دراهم هؤلاء القوم – يقصد الأمراء الأغالبة– فآخذها، فإذا أخذتها فارموا كُتُبِي في هذا الغدير"(١٤٨).

وغنيٌّ عن البيان أنَّ ردَّ سحنون السابق يَنُمُّ عن فَهْمِه بأنَّ قبول أموال الأغالبة يعدُّ جرحةً في إمامته ونفيًا لوجاهته عند الناس؛ لأنهم سيفهمون أنَّه بقبوله لهذه الأموال سينضمُّ إلى صف الأمراء، ويتغاضى عن ظلم عمَّالهم للناس، وهو الأمر الذي لم يفعله سحنون الذي رفض قبول أموال الأمير محمد، وأصرَّ على إجراء العدل على قرابته، ولم يقبل شفاعتَه فيهم، مما جعل الأمير يقول :"إنَّ سحنون لم يركب لنا دابة، ولا عَقَلَ كُمَّه بِصُرَّةٍ؛ فهو لا يخافنا"(١٤٩)، وذلك على أثر رفض سحنون الاستجابة لمحاولات الأمير وأوامره المتكررة له بردِّ سَبْي تونس على أحد المقربين للبيت الأغلبي كان قد حازه بطريق غير مشروع(١٥٠)، ليسطِّرَ بذلك عهدًا جديدًا في كيفيَّة تعامل القضاة مع ذوي السلطان الذين ظلموا الناس كثيرًا في ظلِّ تغاضي القضاة الحنفيِّين السابقين التابعين للسلطة الأغلبية عن إجراء الحق عليهم. ولأنَّ الفقيه سحنون كان عالمًا بذلك، وحريصًا على العمل لصالح الرعيَّة الذين حفظوا لفقهاء المالكيَّة منزلتهم، ووثقوا فيهم؛ فقد اشترط على الأمير أنْ يمكِّنَه من إجراء الحق على أهله وحاشيته والمقربين منه كَشَرْطِ رئيسٍ لقبول ولاية القضاء؛ حيث قال له: "إنِّي أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك، فإنَّ قِبَلَكُمْ ظلامات للناس منذ زمن طويل". وقد قبل الأمير هذا الشرط؛ لحاجته إلى تقريب الرعيَّة منه، وكسب تأييدهم لحكمه، وذلك من منطلق وعيه بوجاهة سحنون عندهم وتأثيره في موقفهم (١٥١).

وجدير بالذكر أنَّ الفقيه سحنون لم يكن الفقيه الوحيد الذي رفض أخذ الأجر عن وظيفة القضاء، فقد سلك هذا المسلك معظمُ فقهاء المالكيَّة، ومنهم الفقيه عيسى بن مسكين (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م) الذي لم يرتزق على توليه القضاء للأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/ ٨٧٣-٩٠١م) شيئًا قط (١٥٢).

وليس أدلُّ على أنَّ الانتفاع بالسلطان وأعوانه كان يُنْقِصُ من ورع الفقيه وعلمه في نظر الناس بما يؤثِّر بالسلب على وجاهته بينهم مِمَّا جاء في ترجمة الفقيه أبي حفص عبد الجبَّار السُّرْتي [١٥٣] (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م) من أنه خرج ذات مرَّة من صلاة الجمعة في يوم مطر وطين، ولم يجد دابة يرجع عليها إلى داره التي كانت بعيدة عن الجامع، فأتاه رجل من جند الأمير الأغلبي إبراهيم ابن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/ ٨٧٣-٩٠١م) بفرس مُسَرَّج، وسأله في ركوبه، فركب. فلمَّا استوى على الفرس نظر إليه الناسُ نظرةَ استغراب، مِمَّا جعله يقول لهم مدافعًا عن وجاهته بينهم: "ما لكم تنظرون إليَّ؟ أما ورعٌ انتقصَ أو علم". يقصد أنه قام بذلك على وجه الضرورة. ثمَّ قام بعد ذلك بالتصدُّق بِقَدْرِ انتفاعِه بركوب الفرس [١٥٤].

وإزاء هذا التأثير السلبي -الذي كان يقلِّلُ من وجاهة الفقيه لدى الناس في حالة اتصاله بذوي السلطة- كان بعضُ الفقهاء المنتفعين بالتقرِّب من الأمراء الأغالبة يحرصون على الذَّهَاب إليهم ليلًا؛ حتَّى لا يراهم الناس، فتَقِلُّ وجاهتُهم عندهم، وقد عبَّر عن هذا المعنى الفقيه المالكي محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) بقوله "قلتُ لسحنون: إنَّ فلانًا لا يأتي الوالي ولا القاضي إلَّا بالليل، فكتب إليه بعضُ إخوانه: إنَّ الذي يراك بالنهار هو يراك بالليل"[١٥٥].

(٥) الدعاء المستجاب:

يُقْصَد بهذا المعيار أنَّ اشتهار بعض الفقهاء باستجابة دعائهم كان من بين الأمور التي أسهمت في ارتفاع قدرِهم وعلوِّ مكانتهم بين الناس، ممّا أسهم في تحقيق نوعٍ من الوجاهة لهم في المجتمع الأغلبي [١٥٦]، مثلما حدث مع الفقيه يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) الذي كان اشتهارُه بكونه مجاب الدعوة من بين الأمور التي أسهمت في تحقيق وجاهته بين الناس [١٥٧].

إنَّ هذه الوجاهة المنبثقة من هذا المعيار تمثَّلت في اجتماع الناس حول

الفقيه المشهور بإجابة دعائه وإقبالهم عليه؛ طلبًا لدعائه [١٥٨]، وثقةً منهم بأنَّ الله -سبحانه وتعالى- سينفعهم به [١٥٩]، لدرجة أنَّ البعضَ كان يدفعُ أبناءَه دفعًا إلى اللِّحاق ببعض هؤلاء الفقهاء؛ كيْ يأخذوا بحظِّهم من دعائه المستجاب[١٦٠]. في حين كان البعض الآخر يلجأ إلى الفقيه المُجاب الدعاء إذا وقع عليه ظلمٌ من قِبَلِ ذوي السلطان، مثلما فعل بعضُ المتضرِّرين من رجل قريب إلى الأمير أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م) كان يطلق فرسَه في زرعهم، فخُوطِبَ في ذلك فلم يهتم، فأتى الناس إلى الفقيه عبدالرحيم المستجاب [١٦١] (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) مُسْتنجدين به، فرفع عينيه إلى السماء، وقال :"اللهمَّ اجعله آيةً للعالمين، واكف المسلمين شرَّه، فطارت عينا الفرس جميعًا، وبقي أعمى لا يبصر شيئًا، وكفى الله المسلمين شرَّه" [١٦٢]. ومثلما فعل الرجل الفقير الذي أتى الفقيه إبراهيم بن المضَّاء [١٦٣] (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)؛ مستغيثًا به من عامر بن زُرَارة (من أصحاب الأمير إبراهيم بن أحمد ٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م) -الذي بنى بجوار بيته المنخفض بيتًا مرتفعًا، عليه أبواب مُطِلَّة على بيته، يُطِلُّ منها هو وخدمه على بناته- وطالبًا منه أنْ يدعو الله أنْ يكفيه شرَّه، فدعا إبراهيم، وأمَّن على دعائه مَنْ حولَه، فجاء الخبرُ بأنَّ بيت عامر انهدم، وأنَّ ساريةً منه ضربته، فطيَّرت رأسَه[١٦٤].

وليس أدلُّ على دور اشتهار الفقيه باستجابة دعائه في تحقيق وجاهته بين الناس من حالة الفقيه سعيد الصَّبْرِي القيرواني (ت ٣٠٥هـ/٩١٧م) الذي وُصِف بأنه "كان من أهل الفضل والعبادة مشهورًا بالإجابة"[١٦٥]؛ ولذا كان الناس يأتونه خلال عهد الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٨م) "من كل أفق يدعو لهم، ويُجاب دعاه"[١٦٦]، مِمَّا دفعَ البعضَ لأنْ يسأله قائلًا :"ما هذا الجاه الذي لا تُرد لك به دعوة؟"، فأجاب قائلًا

:"يأتيني الناسُ، وكل واحد منهم مضطر قلق بحاجته، وقد علم السائل مقام دعوة المضطر من الله عز وجلَّ، فأقول له: إمَّا تدعو ونُؤمن أو ندعو وتؤمن، فيجيب الله عزَّ وجلَّ الدعاء باضطرارهم، فينتفعون بدعائهم، وهم يظنون أنهم بنا ينتفعون، فدعنا بسوق قامت لنا من حيث هي لغيرنا"(١٦٧).

أَضِفْ إلى ذلك أنَّ اشتهار بعض الفقهاء بإجابة الدعاء كان عاملًا من عوامل اعتراف الأمراء بوجاهتهم أمام الناس، وهو ما ظهر في موقف الأمير زيادة الله (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م) مع الفقيه أبي محمد الأنصاري(١٦٨) (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، وذلك عندما قال له الأمير: "أتيناك لتأمرنا بمعروف فنفعله ونسارع إليه، وتنهانا عن منكر فننزجر عنه، فجبهتني وحجبتني عن نفسك وأنا إمامك!". فما كان من الفقيه أبي محمد إلَّا أنْ انتهر الأميرَ أمام الناس، وقال له –وهو بين حشمه ورجاله وعبيده–: "جزَّأك عليَّ علماء السوء الذين يغرونك ويزيِّنُون لك زخارف الدنيا وغرورها (يقصد بعض علماء الحنفيَّة المقربين من الأمراء)، ولو عملتَ بما علمتَ أنبأتُك بما جهلت. اذهب عنِّي لئلا أشتكيك إلى الله عزَّ وجلَّ"، فلم يتمكَّن الأمير من فعل شيء غير أنَّه انصرف عنه معترفًا بوجاهته وخائفًا من استجابة دعائه (١٦٩).

خلاصة القول: إنَّ معرفة الناس بأنَّ دعاء بعض الفقهاء مستجابٌ أسهم في خلق نوع من الوجاهة الاجتماعيَّة لهم داخل المجتمع الأغلبي. هذه الوجاهة جعلت الناس يلتفون حولَ الفقيه؛ انتفاعًا بدعائه بوجه عام، وثقةً منهم في قدرته على حلِّ مشاكلهم مع ذوي النفوذ السياسي، وذلك ببركة دعائه المستجاب.

(٦) طبيعة معاملة الفقيه للنَّاس:

كانت طبيعة معاملة الفقيه للناس من المعايير التي تحكَّمت في تحقيق وجاهته عندهم، وهو ما فَطِنَ إليه الإمام سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، ولذا كان يوصي ابنه الفقيه محمد بأنْ يحسن معاملة الناس ويسلِّمَ عليهم، فإنَّ ذلك يزرع

المودَّة في قلوبهم [١٧٠]. ومن هذا المنطلق كره سحنون النظر في تركة الفقيه محمد بن رُشَيْد (ت٢٢١هـ/٨٣٥م) بعد موته؛ لعلمه بسوء معاملته للناس رغم تفوقه في العلم. يقول أبو العرب تميم: "لمَّا مات محمد بن رُشَيْد كره سحنون النظر في تركته لسوء معاملته ... وإنما أفسده على الناس معاملته، فأمَّا في نقله في العلم فكان ثقة"[١٧١]. كما ساءت سيرة الفقيه أبي سَهْل فُرات بن مُحمد العبدي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) رغم غزارة علمِه، وذلك بسبب سوء معاملته للناس، فقد وُصِفَ بأنَّه كان "أوقعَ الناس في الناس، حتَّى نسب إلى الكذب"[١٧٢].

معنى ذلك أنَّ المعاملة الحسنة للناس من جانب الفقيه كانت تُجبرهم على تقديره، وتسهم في تحقيق وجاهته، مصداق ذلك أنَّ حُسْنَ معاملة الفقيه عَوْن ابن يوسف الخُزَاعي (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م) كانت من بين الأمور التي زادته شرفًا وجلالةً؛ فقد كان يعودهم ويتعاهدهم، ويعود المرضى، فتحققت -بذلك- وجاهتُه لدى العامة والأمراء على حدٍّ سواء [١٧٣]. والأمرُ نفسُه يُقال عن الفقيه سحنون الذي كان "سالمَ الصَّدر للمؤمنين"[١٧٤]، "ربَّما وصلَ بعضَ إخوانه بالثلاثين دينارًا ونحوها"[١٧٥]، مما أسهم في انتشار إمامته وإجماع أهل عصره على تقدمه وفضله [١٧٦]. وكذلك ابنه الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٧٩م) الذي كان من أطوع الناس في الناس [١٧٧]، "سمحًا بماله في معاشرته، نفَّاعًا للناس، مطاعًا، جوَّادًا بماله وجاهه"[١٧٨]، فكان "يصل مَنْ قَصَدَه بالعشرات من الدنانير، ويكتب لمن يُعْنَى به إلى الكور، فيُعْطَى الأموال الجسيمة"[١٧٩]، فكان -بذلك- "مقدمًا عند الملوك، وجيهًا عند العامة"[١٨٠]. وكذلك الفقيه محمد بن يحيى [١٨١] (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) الذي كان "مطبوعًا على الأخلاق الكريمة، قليل الكلام والخوض في أمور الناس"، مما أسهم في تحقُّق وجاهته عند عوام الناس وعند الأمير أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م)[١٨٢]. وكذلك الفقيه ابن غافق التونسي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) الذي كان اشتهارُه بالكرم

وحسنُ معاملتِه للناس –بالإضافة إلى علمه وورعه– من الصفات التي أسهمت في تحقُّق وجاهته [١٨٣]. وكذلك الفقيه أحمد بن مُعَتِّب (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) الذي جاء في ترجمته أنَّ حُسْنَ خلقِه كان من الأمور التي أسهمت في علوِّ مكانته بين الناس [١٨٤].

وبصفة عامة؛ امتاز فقهاء المالكيَّة بالتواضع وحسن معاملتهم للناس، ممَّا أسهم في تحقُّق وجاهتهم عندهم[١٨٥]، وذلك على عكس ما اتَّصف به بعض الفقهاء الحنفيِّين المقربين من السلطان من كِبْر وأُنْفَة، مما كان له أكبر الأثر في تحقُّق وجاهتهم عند الحكَّام الأغالبة فقط ، ومنهم –على سبيل المثال– الفقيه الحنفي علي بن ظفر الذي وصفه الدبَّاغ بأنَّه كان له جاهٌ عند الملوك من أصحاب ابن الصائغ صاحب دولة الأغالبة، وأنَّه كان كثير الكِبْر والأُنْفَة، وكثيرًا ما كان يؤذي من ينتحل مذهب أهل المدينة، ويسخَرُ من الأضرَّاء منهم، ويحاكيهم[١٨٦].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ المعاملة الحسنة من قِبَلِ الفقيه لأعدائه وكارهيه كانت تُجبرهم على احترامه والاعتراف بوجاهته العلميَّة رغم الاختلاف معه، حدث ذلك مع الفقيه ابن غافق التونسي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) الذي حوَّل كره بعض أعدائه إلى حبٍّ وتقدير بمعاملته الحسنة لهم [١٨٧]. وقد طالَ ذلك أعداءَ الفقيه من ذوي الجاه والثراء، ولعلَّ في موقف ابن أبي زرعة (من أصحاب الأموال والرئاسة) مع الفقيه ابن غانم (ت١٩٠هـ/٨٠٥) ما يقدِّمُ الدليلَ على ذلك، فقد روى المالكي أنّه لقي ابن غانم فشتمه في وجهه في موضع خالٍ من الناس، فأعرض عنه ابن غانم، ولم يرد عليه شيئًا. فلمَّا كان بعد ذلك لقيه فرحَّب به ابنُ غانم، ودعاه إلى منزله، فأكرمه، وعمل له طعامًا كثيرًا، ثمَّ رجع ابن غانم إلى القيروان ومعه ابن زرعة هذا، فلمَّا أراد مفارقتَه قال له ابن زرعة :"يا أبا عبد الرحمن، اغفر لي، واجعلني في حلٍّ مِمَّا كان في خطابي"[١٨٨].

وهكذا نرى أنَّ وجاهة الفقيه لا تتحقَّقُ بكثرة فقهه فقط، ولكن بأمور أخرى مهمة إلى جانب فقهه، ومنها حسن معاملته للآخرين، وعدم ردِّ إساءتهم بإساءةٍ مثلها؛ فابن زرعة (صاحب الجاه والرئاسة) شتم ابن غانم رغم علمه بفقهه الجم؛ ولكنه عندما رأى منه عدمَ ردِّ الإساءة بالإساءة، وكرمَ ضيافتِه، وحُسْنَ معاملتِه رغم ما بدر منه، استقرَّ عنده جاه الفقهاء، فطلب إليه أنْ يعفوَ عنه ويسامحه. والشيء نفسُه حدث مع الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) الذي كان سَمِحًا حتَّى مع من أساء إليه، فقد رُوِيَ أنَّ العِراقيِّين[١٨٩] استعملوا رجلا يسبُّه، وكانوا يعطونه الأموال على ذلك، فكان إذا لقيه منفردًا سبَّه علانيةً، وإذا لقيه في أصحابه سبَّه سِرًّا في أذنِه. وفي كلِّ ذلك كان الفقيه محمد لا يَرُدُّ عليه شيئًا؛ صبرًا منه على الأذى، ورجاءً لثواب الله عزَّ وجلَّ. فحدث أنْ افتقرَ الرجل وساءت أحوالُه، وضاع أهلُه وعيالُه، ووصلَ إليهم الضرر، فشكا الرجل حالَه إلى بعض الصالحين، فأشاروا عليه بأن يذهب إلى الفقيه محمد، فمضى إليه، فوجده في مجلسه، فأصغى إليه بأذنه كالعادة، فذكر له الرجل أنه إنما جاءه تائبًا ممّا كان منه، فطلب إليه أن يجلس فجلس، وعندما انقضى المجلس أخذه إلى داره، ودفع إليه صرَّة فيها عشرون دينارًا. ثمَّ أرسل ثلاثين كتابًا إلى ثلاثين رجلًا من مياسير أصحابه، وطلب من كل واحد منهم شراء جارية وتوجيهها إليه، ففعلوا، فأمر ببيع خمسٍ منهنَّ، وكسا بثمنهن الخمس والعشرين الباقيات، ثمَّ أحضرَ الرجل العراقي، فلما أقبل سأله عن سبب تأخره عليه فأعرب عن استحيائه لما سلف منه ومقابلة محمد لذلك بعظيم إحسانه، فدفع إليه الجواري، فخرج الرجل من داره بخمس وعشرين جارية، وهو معترفًا بجاه الفقيه ومبديًا له الاحترام والتقدير [١٩٠].

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف وجاهة الفقيه –من إحدى جوانبها– بأنَّها حاجز نفسي بين الشخص والفقيه، يجبره على احترامه وتبجيله، حتَّى ولو

اختلف معه.

(٧) معايير أخرى:

لم تقتصرْ المعايير التي تحقَّقت بها وجاهة الفقيه في إفريقية إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) على ما تقدَّمَ فقط، بل وُجِدَتْ معايير أخرى أسهمت في تحقيق وجاهة بعض الفقهاء، كان منها **قرابة الفقيه من فقيه مشهور ذي وجاهة**، فعندما يموت هذا الفقيه المشهور يقوم لهذا الفقيه القريب جاهٌ مبنيٌّ على صلة قرابته مع الفقيه المشهور، حتَّى ولو كان قليلَ الفقه. حدث ذلك مع الفقيه أحمد بن لُبْدَه (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) الذي ترجم له القاضي عياض قائلًا: "ابن أخي سحنون، سمع من سحنون، أخذ الناس عنه. وكان وجيهًا بإفرِيقيّة، ذا فضل ودين ... ولم يكن في الفقه هناك، إلَّا أنه قام له جاهٌ في البلد بعد موت سحنون بأثرته ومكانه منه. كانت المسائل تَرِدُ إليه من كلِّ جانب، فيُلْقِيها إلى بعض الفقهاء، فيتولُّوا الجواب عنه. وكان الناس يقولون: ابن لبدة عالم الأمير"(١٩١). وقد أكَّد ذلك الدبَّاغ بقوله: "أحمد هذا كان له جاهٌ وَصِيتٌ بإفرِيقيّة؛ لمكانهِ من سحنون بن سعيد"(١٩٢).

وكان من هذه المعايير أيضًا: **تولِّي الفقيه لوظيفة القضاء** (١٩٣)، وهو ما لمسه الفقيه ابن طالب (١٩٤) (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) الذي شعر بتغيُّر حال بعض الناس معه بعد قبوله تولِّي القضاء عمَّا كان قبل ذلك، فقال: "وكنتُ لما دخلتُ إليه -يقصد إلى الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي- في المرتين- وكان ولي القضاء مرتين- ما رَفَعَ إليَّ أحدٌ رأسًا. فلمَّا وُلِّيت، وخرجتُ -يقصد من عند الأمير بعد توليه القضاء- وجدتُ أهلَ الأرضِ وقوفًا ينتظرون على الباب، فعلمتُ هوى النَّاس للدنيا"(١٩٥). وفي هذا السياق يقول الدبَّاغ في ثنايا ترجمته له: "ولَّاه إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وعظم قدرُه سنة سبع وخمسين ومائتين"(١٩٦). وقد أكَّد ذلك الفقيه أبو الحسن بن نصر السُّوسي

(ت٣٤١هـ/٩٥٢م) عندما سُئِل عن ابن طالب فقال: "كانت له هيبة بالقضاء"[١٩٧].

وممَّا سبق يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:

- تمثَّلت المعايير التي اعتمدت عليها وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة في: معيار التمكُّن من الفقه، ومعيار الصلاح والورع، ومعيار الزهد في الدنيا وحبِّ الفقر، ومعيار البعد عن السلطان وعدم الانتفاع به، ومعيار الدعاء المستجاب، ومعيار المعاملة الحسنة، بالإضافة إلى قرابة الفقيه من فقيه مشهور ذي وجاهة، وتولِّي الفقيه لوظيفة القضاء.

- تُعَدَّ هذه المعايير مكملة لبعضها وليست منفصلة، بمعنى أنَّ وجود معيار منها لا يعني اختفاء الآخر، وكلما توفَّر أكبرُ عدد منها في الفقيه زادت وجاهته. وقد تحققت معظم هذه المعايير في الفقيه سحنون وأصحابه الذين "جمع الله عزَّ وجلَّ فيهم: الفقه، والدين، والورع، والتواضع، والزهد"[١٩٨]، فتحققت وجاهتهم في المجتمع الأغلبي، ونالوا تقديرًا واحترامًا وثقةً من أهله[١٩٩].

- على الرغم من مَيْل الناس إلى فقهاء المالكيَّة المنحازين للرعية ومشاكلها وهمومها وإعراضهم عن فقهاء الحنفية المنحازين للأمراء الأغالبة؛ فإنَّ الوجاهة المُتَحَقِّقة للفقيه من خلال هذه المعايير لم تقتصر على فقهاء المالكية فقط، بل طالت أيضًا بعض فقهاء الحنفية مِمَّن توفرت فيهم بعضُ معايير الوجاهة التي اعترف بها أهلُ إفريقيَّة خلال ذلك الوقت، وعلى رأسها: الورعُ، والبعدُ عن السلطان ورفض الانتفاع به، والمعاملة الحسنة للنَّاس. ومن أمثلة هؤلاء الفقهاء: الفقيه محمد بن منيب (ت٢٩٣/٩٠٥م) الذي كان حنفيًّا على مذهب أهل العراق، ومع ذلك اكتسب وجاهةً بين النَّاس؛ لأنَّه كان من أهل الخير، عُرِضَ عليه القضاء فلم يقبله [٢٠٠]، كما أنَّه عُرِفَ بكرمه وبحسن

معاملة الناس، فقد روي أنَّ أحدَهم أتاه يستعينه في دينه فتحمَّله بجميعه [٢٠١].

وأخيرًا، فإنَّه بعد الكشف عن معايير تحقيق وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، فإنَّ الباحث يرى أنَّه من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على مظاهر تحقُّق هذه الوجاهة، وهو ما سيتطرَّق إليه العرضُ القادم.

ثانيًا. مظاهر تحقُّق وجاهة الفقيه في إفرِيقيّة خلال عصر الأغالبة:

تعدَّدت مظاهر تحقُّق وجاهة الفقيه في إفريقية خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، فكان منها:

(١) طاعة الفقيه في بلده:

كان من مظاهر وجاهة الفقيه في إفريقيّة خلال عصر الأغالبة أنَّ أهل بلده كانوا يطيعونه، وذلك من منطلق تقديرهم له وثقتهم به، وهو ما أعربت عنه -بوضوح- كتب التراجم، فقد كان الفقيه أحمد بن يملول التَوْزَرِي [٢٠٢] "مطاعًا ببلده تَوْزَر[٢٠٣]"[٢٠٤]. كما كان الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) "مُطاعًا" في إفريقيَّة كلها [٢٠٥]. وجاء في ترجمة الفقيه ابن غافق التونسي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) أنَّه "كان فقيهًا، ذا هيبة ... وكانت له طاعة بتونس، لا يتقدمه أحدٌ منهم في وقته، ولا يخالف أمره"[٢٠٦]. كما كان الفقيه أحمد بن موسى بن مُخَلَّد (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م) مطاعًا في بلده قسطيليَّة [٢٠٧].

وليس أدل على حرص الناس على طاعة الفقيه ذي الوجاهة من أنَّ بعض الشباب كانوا على استعداد تام لأنْ يتركوا صنعتَهم إذا أنكرها الفقيه، مثلما فعل الشاب الذي كان يتردد على الفقيه أسد بن الفرات (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)، فبينما هو جالس معه ذات يوم، سألَه الفقيه عن صناعتِه، فسمّاها له، فقال له أسد:

"قُمْ"؛ بانتهار، فقال له الشاب: "ما قصتي أصلحك الله؟ إن كنتَ أنكرتَ صناعتي تركتُها"(٢٠٨).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ طاعة الفقيه كانت لها أثر إيجابي في تغيير السلوك السلبي المنحرف لبعض الشباب في مجتمع إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة، فقد رُوي أنَّ الفقيه أبا حفص عبد الجبَّار بن خالد السُّرْتِي (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م) خرج يوم الجمعة للصلاة، فإذا بشاب جميل له هيئة حسنة ولباس جميل قد اتَّبع فتاة يمشي خلفها. فلمَّا رآه عبد الجبار شقَّ عليه ذلك، فاتكأ برجله على رجله الأخرى فقطع شَسْعَ نعلِه، فصاح على الشاب وطلب إليه مساعدته في إصلاحه، فأصلحه له دون غضب أو تذمُّر. ثمَّ نظر عبد الجبار إلى الفتاة فوجدها قد أبطأت في مشيتها، فأخذ النَّعل من الشاب وأدخله في رجله، وتمادى الشاب في أثر الفتاة، فاتكأ عبد الجبار على نعله ثانية فقطعه، ثمَّ صاح بالشاب – وكانت لعبد الجبار هيبة عظيمة ووجاهة – فعاد إليه، فطلب منه أنْ يصلح النعل ثانية، وأوضح له أنَّه ربما أصلحه في المرة الأولى على عَجَل، فأخذه الشاب وأصلحه دون تذمُّر أو غضب أيضًا. وهنا عطف عبد الجبار على الشاب وقال له: "يا شاب، أنا قطعت النعل في المرة الأولى والثانية، وإنما فعلت ذلك إشفاقًا عليك ورحمة بك، وخفت والله يا بني على هذا الشاب الصبيح من لفح النار". فبكى الشاب وقال له: "جزاك الله خيرًا، فوالله لا عُدْتُ إلى ما كان منِّي أبدًا". ثمَّ صحب عبد الجبار إلى الجامع، وتاب، وحسنت توبته، وكان من فضلاء أهل عصره (٢٠٩).

يُستفاد من الخبر السابق أنَّ الفقهاء كانت لهم وجاهةٌ وهَيْبَةٌ في نفوس الشباب، كان من مظاهرها أنَّ هذا الشاب لم يعترض على الفقيه عبد الجبار ولم يتذمَّر من طلباته التي عطلته عمَّا كان يفعله، بل أطاعه ونفَّذَ ما طلبه منه دون اعتراض. واللافت للنظر أنَّ هذا الشاب قد قبلَ نصيحةَ الفقيه له، وأعلن

توبته في الحال. وهذا يدل على أنَّ سلطة الفقيه الدينية والعلمية كانت نابعة مما يتمتع به من وجاهة دينية واجتماعيَّة، جعلت الناس ينفذون نصائحه دون اعتراض أو مناقشة، الأمر الذي مكَّن الفقيه من القيام بدوره في نشر مكارم الأخلاق ومواجهة بعض الظواهر الغير أخلاقيَّة.

(٢) استحياء أصحاب المعاصي والجرائم من الفقهاء:

كان من مظاهر وجاهة الفقيه في إفريقية إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) أنَّ أصحاب المعاصي كانوا يستحيون أنْ يراهم الفقيه وهم على معصية، فقد جاء في ترجمة الفقيه أحمد بن مُعَتِّب (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) أنَّه مرَّ يومًا في طريقه إلى المسجد بمدينة القيروان بدار، فسمع فيها غناء، فقرع الباب، فخرج إليه صاحب الدار، فاستأذنه في الدخول، فاستحيا منه صاحب الدَّار، واعتذر. فقال له: "لابدَّ". فدخل صاحب الدَّار قبلَه، وغيَّب ما كان بين أيديهم من شراب وآلات الموسيقى، ثم أذن له، فدخل وسلَّم[٢١٠]. وقد رُوِيَ أنَّ ابن معتِّب دعا لهم بالتوبة، فأمَّن صاحب الدار، ثمَّ خرج ابن معتب، فقال صاحب الدار: "والله لا عصيتُ الله بعدما رأيتُ هذا الشيخ أبدًا". فتاب هو ومن كان في المجلس [٢١١]، الأمر الذي يدلُّ على أنَّ وجاهة الفقيه كان لها مردود إيجابي في مواجهة بعض الآفات الاجتماعية، ومنها: شرب الخمر، ومجالس المجون واللهو.

ويتَّصل بذلك أيضًا أنَّ وجاهة الفقيه بين الناس أسهمت في رسم سلوكات طيبة من جانب بعض القائمين بالجرائم، وعلى رأسهم القائمون بجريمة السرقة وقطع الطرق؛ فعندما كان يعلم هؤلاء أنَّ فقيها وجيهًا من بين المسلوبين كانوا يردُّون للمسلوبين جميعًا ما نهبوه منهم؛ استحياءً من هذا الفقيه، واعترافًا منهم بوجاهته. ويكفي للتدليل على ذلك ما ذكره المالكي من أنَّ الفقيه إسماعيل بن رباح (ت٢١٢هـ/٨٢٧م) "كان في رفقة، فسلبهم السَّلَّابة، وكانت له في

حياصته دنانير، فلما عرفت السلَّابة أنَّ في المسلوبين إسماعيل بن رباح ردُّوا على الناس جميع ما سلبوه"[٢١٢].

(٣) سعادة الناس بتولِّي الفقيه القضاء والخروج لنصرته وقت الأزمة:

كان النَّاس يشعرون بالسعادة عندما يقبل فقيهٌ وجيهٌ عندهم منصبَ القضاء، حتَّى ولو كان ذلك رغم أنفِه؛ وذلك لوجاهته عندهم، وثقتهم في عدله وإمامته، وأنَّه سينصف المظلوم، ويُجري الحقَّ على أهل بيت الأمير وقرابته وخدمه وحاشيته، وهو ما ظهر في موقف الناس من تولِّي الفقيه ابن أبي مُحْرِز (ت٢١٤هـ/٨٢٩م) القضاء، بعدما أجبره الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١٢م) عليه بالقوَّة؛ حيث عبَّروا عن سعادتهم بذلك بالتكبير[٢١٣].

ونتيجة لذلك كانت وجاهة الفقيه عند الناس تحول -في بعض الأحيان- دون قيام الأمير بعزله عن القضاء، فقد منعت وجاهةُ الفقيه سحنون بين الناس الأميرَ محمد بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤٠-٨٥٦م) من عزله عن القضاء بعدما شكاه بعضُ المقربين بأنَّه يضيِّق عليهم[٢١٤]؛ لأنَّ الناس تعلَّقوا به لكونه "لم يكن يهاب سلطانًا في حقٍّ يقيمه"[٢١٥]، الأمر الذي جعل الأمير يلجأ إلى حيلة أخرى غير العزل، تمثَّلت في أنَّه ولَّى القضاءَ معه الطُّبْنِي الذي كان قليل الفقه. وإزاء ذلك فضَّل سحنون لزوم داره مدَّة بعدما فهم مراد الأمير، فكان الطُّبْنِي يحكم في الجامع. فلمَّا بلغ سحنونًا أنَّ الطُّبْنِي مدَّ يده إلى بعض أصحابه خرجَ إلى الجامع، وعندما سمع الناس بخروجه، أتوا لنصرته من كلِّ جهة [٢١٦]، وهو ما يعكس مظهرًا من مظاهرِ تحقُّق وجاهته بينهم وعلوَّ مكانته في قلوبهم.

وعندما أرسل القاضي الحنفي سليمان بن عمران -وكان مشهورًا بالسوء وكُرْهِ المالكيَّة- وراءَ جماعةٍ من فقهاء المُنَسْتير وعُبَّاده، يريد بهم شرًّا، بعثوا إلى

الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) فأخبروه بالأمر، فقال لهم: "إذا كان الغد فادخلوا من باب أبي الربيع (أحد أبواب مدينة القيروان) وقت اجتماع الناس، وليكن بين أيديكم رجل من أصحابكم ينادي في الناس قائلًا: يا معشر المسلمين! الدعاء لأهل المُنَسْتِير، فإنَّ القاضي سليمان بن عمران بعث وراءهم ولا يدرون في ماذا أرسل وراءهم". ففعلوا ذلك، فارتجَّت القيروان، وامتلأت الأزقَّة بالناس الذين ضربوا أروع مَثَلٍ في نُصْرَة فقهاء المنستير وعبَّاده، وامتلأت السقيفة على سليمان، وامتلأ الدَّرْبُ الذي كان يسكن فيه، فخاف سليمان من ذلك خوفًا شديدًا، وقال لحاجبه: "قل لأهل المُنَسْتير ينصرفون إلى مواضعهم، فما لنا عليهم سبيل"[٢١٧].

(٤) حرص الأمراء على زيارة بعض الفقهاء في منازلهم:

غنيٌّ عن البيان أنَّ اهتمام الأمراء الأغالبة بزيارة بعض الفقهاء في منازلهم يُعَدُّ مظهرًا من مظاهر تحقُّق وجاهة هؤلاء الفقهاء[٢١٨]، فقد رُوِيَ أنَّ بعض الأمراء كانوا يزورون الفقيه أبا محمد الأنصاري (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) بدِمْنَة[٢١٩] مدينة سُوسَة ليلة النصف من شعبان وليلة النصف من رمضان، يتبركون به وبدعائه [٢٢٠]. كما كانوا يذهبون لزيارة الفقيه أبي عمرو بشير بن عمروس بالمُنَسْتِير[٢٢١].

وروى المالكي أنَّ الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) كان يزور أبا الأحوص المتعبِّد بمدينة سُوسة (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، "فإنْ وجده يطحن قوتَه بيده جلس على التراب، وإنْ وجده فارغًا جلس على جلد المطحنة؛ لأنه لم يكن في بيته حصير ولا غيرها"[٢٢٢].

(٥) سعادة الأمراء بحضور الفقهاء مناسباتهم الخاصة:

كان من مظاهر الوجاهة التي تحققت للفقهاء بإفرِيقيّة زمن الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) أنَّ بعضَ الأمراء كانوا يُظْهِرُون سعادةً عندما

يحضر فقيهٌ كبيرٌ مشهورٌ المناسبات الخاصة بهم، وعلى رأسها ختان الأبناء، فعندما قام الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/ ٨٧٣-٩٠١م) بخْتْنِ أولاده مضى أهلُ العلم من شيوخ القيروان لتهنئته [٢٢٣]، وكان فيمن مضى إليه الفقيهُ المشهورُ عبدُ الجبَّار بن خالد السُّرْتي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، "فلمَّا أتى إلى الأمير أَكْبَرَهُ وعَظَّمَهُ وسُرَّ برؤيته، وأخرج له أولادَه فدعا لهم وبارك عليهم"[٢٢٤]. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتدَّ ليشملَ قيام الأمير بِصُحْبَةِ الفقيه إلى باب القصر بعدما قدَّم واجب التهنئة وعزم على المغادرة، ثمَّ أمرَ أعوانَه أنْ يحملوا الفقيهَ على دابة، وقال: "والله لا برحت حتَّى تركب". فركب عبد الجبَّار والأمير قائم [٢٢٥].

(٦) قدرة الفقهاء على تغيير القرار العدائي للأمراء تجاه بعض المدن:

كان من مظاهر وجاهة الفقهاء في إفريقية إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) قيامهم بدور إيجابي تمثَّل في تغيير القرار العدائي للسلطة الحاكمة تجاه بعض المدن وأهلها، فقد حدث أنْ اتَّخذَ بعضُ الأمراء الأغالبة قرارات عدائية تجاه مدن بعينها، ثمَّ رجعوا عنها بعد جلوسهم مع الفقهاء، الأمر الذي يعطي دلالة واضحة على سموِّ مكانة هؤلاء الفقهاء في عيون الأمراء ومدى تأثيرهم في قراراتهم. ومن أمثلة ذلك أنَّ الأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) بلغه عن أهل مدينة سُوسة ما أساءَه، فركب إليها عازمًا على تخريبها وهدم سورها وتعذيب أهلها. فلمَّا وصل إليها، وهو في قمة غضبه، خرج إليه الفقيه ابن أبي حُمَيْد[٢٢٦] (ت٢٩٣هـ/٩٠٥م)، فاجتمع به، فخرج الأمير من الاجتماع راضيًا عن المدينة وأهلها، لدرجة أنَّه بكى وقال :"والله لا فعلْتُ شيئًا مِمَّا كنتُ عزمتُ عليه". ثمَّ ركب راجعًا إلى مدينة القيروان ببركة هذا الفقيه الذي وُصِف بأنَّه كان "عظيم القَدْر، كبير الشَّأْن"[٢٢٧].

ويتصل بذلك أيضًا أنَّ بعض الأمراء الأغالبة كانوا يرضخون لتهديدات الفقهاء العبَّاد، فقد رُوِيَ أنَّ نواتيَّة الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد السابق أرادوا النزول بقصر الطوب [٢٢٨]، وكان به عدد من كبار الفقهاء العبَّاد قاموا بإغلاق باب القصر ومنعوا النواتيَّة من الدخول، فبلغ ذلك الأمير، فأتى القصر غاضبًا، فخاف أهلُ القصر، وأتوا الفقيه العابد سعيد بن إسحاق[٢٢٩] (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م) وعرَّفوه الأمرَ، فما كان منه إلَّا أنْ صعد أعلى القصر ووجَّه حديثه للأمير قائلًا :"من هذا؟" فقال له: "أنا إبراهيم بن أحمد الأمير". فرفع سعيد صوته وقال: "يا إبراهيم (هكذا دون ذكر لقب الأمير) تَرْكنا لك الدنيا كلها، وانزوينا في هذا الثَّغْر، فجئت تؤذينا فيه، والله لئن لم تمرّ لأُهْلِكَنَّك، فمضى إبراهيم هاربًا". وعندما سأله مَنْ حوله عن سبب ذلك قال لهم: "لمَّا صالَ عليَّ سعيد بن إسحاق تلك الصولة حسبْتُ أنَّ الفحصَ اشتعل عَلَيَّ نارًا، فما زلت كذلك حتَّى وقفت على هذا الموضع"[٢٣٠].

(٧) لجوء الثوَّار إلى الفقهاء لمساندتهم في ثوراتهم:

كانت محاولات الثوَّار المُلِحَّة لكَسْبِ مساندة الفقهاء لهم في ثوراتهم ضدَّ سلطة الأغالبة مظهرًا من مظاهر اعترافهم بتأثيرهم في الرأي العام المنبثق من وجاهتهم عند الناس؛ فهؤلاء الثوار كانوا يعلمون أنَّ مساندة الفقهاء لهم تأتي على رأس العوامل التي من شأنها أنْ تُضفِي إلى ثوراتهم نوعًا من الشرعية؛ وذلك لعلمهم بوجاهة الفقيه بين الناس ومدى تأثيرها في تحديد موقفهم من الثورة، من حيث الانضمام لها من عدمه، وذلك من منطلق السلطة الروحيَّة التي كان يتمتَّع بها الفقهاء[٢٣١]، والتي جعلتهم مطاعين من قِبَلِ الناس[٢٣٢].

وكان من هذه المحاولات المحاولة التي قام بها الثائر عِمْران بن مُجَالد (ت٢٠٠هـ/٨١٥م)[٢٣٣] حينما حاول كسب تأييد الفقهاء لثورته ضدَّ الأمير الأغلبي إبراهيم بن الأغلب سنة (١٩٤هـ/٨٠٩م)، حيث أرسلَ إلى الفقيه أسد

ابن الفرات قائلًا له :"اخرج معنا"، فامتنع أسد، فأرسل إليه ثانيةً مهدِّدًا له بقوله :"إن لم تخرج معي وإلَّا بعثتُ إليك من يجرُّ برجلك". فقال أسد للرسول قل له: "لئن أخرجتني لأنادين: القاتل والمقتول في النار". فلما سمع عمران ذلك تركه(٢٣٤).

ويدلُّ الخبر السابق على أمرين، يتمثَّل الأول منهما في حرص هذا الثائر على ضمِّ الفقيه أسد بن الفرات لثورته؛ حتى يكتسب بذلك شرعية تدفع الناس دفعًا إلى الاشتراك في الثورة، وذلك من منطلق أنَّ الفقيه الوجيه عندهم والذي يثقون في آرائه ومواقفه قد انضمَّ إليها. أما الثاني فيتمثَّل في أنَّ تهديد أسد – بأنَّه إنْ أُجْبِرَ على الخروج فإنه سينادي في الناس بأنَّ القاتل والمقتول في النار– قد أوقع الخوفَ في قلب الثائر الذي خشي على ثورته من الفشل إذا فَعَلَ أسد ذلك؛ لأنَّ إذا قال ذلك فإنَّ الناس سيفهمون أنَّ الخارجين على الأمير الأغلبي (صاحب السلطة الشرعيَّة) سيدخلون النار، الأمر الذي سيجعل الذين انضموا إلى مجاهد ينفرون منه ومن ثورته التي كانت قد حققت انتصارًا ملموسًا على جيش الأمير، فما كان منه إلَّا أنْ غضَّ الطرف عن تهديده وتَرَكَه.

ويدخل في هذه المحاولات –أيضًا– تلك المحاولة التي قام بها منصور الطُّنْبُذِي عندما دعا الفقيهَيْن (أسد بن الفرات وأبي مُحْرِز) إلى الخروج معه في ثورته ضدَّ الأمير زيادة الله الأغلبي سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م)، محاولًا إقناعهما عن طريق تذكيرهما بالظلم الذي وقع على الرعية من قِبَل هذا الأمير، حيث قال لهما :"اخرجا معنا، أَمَا تعلمان أنَّ هذا البائس ظلم المسلمين"(٢٣٥).

(٨) استعانة الأمراء ورجالُهم بالفقهاء في القضاء على الثورات:

كان الأمراء – ورجالهم– على علمٍ تام بما يمتلكه الفقهاء من وجاهة مؤثِّرة في موقف النَّاس، ولذا قاموا بالاستعانة بهم في إقناع الثوَّار بالرجوع إلى

الطاعة، مثلما فعل محمد بن حمزة (قائد الأمير زيادة الله الذي أرسله على رأس جيش لمباغتة الثائر منصور الطُّنْبُذي بتونس والقبض عليه) عندما وجَّه الفقيهَ شجرة بن عيسى[٢٣٦](ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) في أربعين فقيها من فقهاء تونس في مهمة رئيسة، تمثَّلت في مناشدة منصور الطُّنْبُذِي الثائر وترغيبه في الرجوع إلى الطاعة، شارحًا له ما في ذلك من الحظ في الدنيا والآخرة [٢٣٧].

وليس أدلُّ على اقتناع السلطة الأغلبية الحاكمة بوجاهة الفقيه ودورها في تهدئة الثائرين مما فعله بعض قوَّاد الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤٠-٨٥٦م) حينما أشاروا عليه بالاستعانة بالفقيه سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) في مواجهة ثورة عمرو بن سُلَيْم المعروف بالقُويْع الذي ثار سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م)، معلِّلين ذلك بأنَّه مُطاعٌ في الناس، وهو ما ظهر في قولهم له :"سحنون داعية مطاع، فَأْمُرْهُ ينصرك على هذا الخارجي"[٢٣٨].

ويظهر أنَّ اللجوء إلى وجاهة الفقيه كان له مردوده الإيجابي على بعض الثورات، مصداق ذلك أنَّ الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) عندما ضرب الدراهم الصِّحاح، وقطع ما كان يُتعامل به من القطع سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، أنكر عوام الناس ذلك، وغلَّقوا الحوانيت، وصاروا إلى مدينة رقَّادة [٢٣٩] ثائرين عليه، فيما عُرِف بثورة الدراهم، فاتَّصل ذلك بأهل القيروان، فخرجوا إلى باب المدينة معلنين الثورة والمدافعة. وإزاء ذلك وجَّه إليهم الأمير إبراهيم وزيرَه أبا عبدالله بن أبي إسحاق، فرفضوا مقابلتَه ووساطتَه، وعبَّروا عن ذلك بأنْ رموه بالحجارة وسبُّوه، فانصرف إلى الأمير وأعلمه بما حدث منهم، فركب إبراهيم إلى القيروان ومعه حاجبُه وجماعةٌ من الجند، فناصبَه أهلُ القيروان القتال، فأرسلَ إليهم الفقيهَ الزاهدَ أبا جعفر أحمد ابن مُغِيث (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)، فقبلَه الثوَّار، ودار بينهم كلام كثير، كان من نتائجه الإيجابية أنْ هَدَأَ الثوَّار، ودخل أبو عبدالله بن إسحاق الوزير مدينة

القيروان صحبةَ الفقيه أحمد، فشقَّ سِماطها وسكَّن أهلها[٢٤٠].

ولا يخفى ما في الموقف السابق من دلالة على وجاهة الفقهاء عند الناس، وهو ما يتضح من خلال موقفهم من الوزير (الممثِّل لوجاهة السلطة) ومن الفقيه (الممثِّل للوجاهة العلميَّة)، فالأول (الوزير) قابلوه بالرمي بالحجارة والسَّب، في حين قابلوا الثاني (الفقيه) بالترحاب والقبول؛ حيث وافقوا على الحديث معه، وقبلوا وساطته في حلِّ المشكلة، واستجابوا إلى طلبه باللجوء إلى الهدوء وترك العنف والقتال، الأمر الذي يشير إلى أنَّ وجاهة الفقيه عند الناس كان لها أثر إيجابي في الحراك السياسي إبَّان عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، تمثَّلَ في حلِّ بعض الأزمات والثورات، وتحقيق التوازن والاتفاق بين الرعية والحاكم.

هذا؛ وقد لجأ الأمير زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٩م) إلى الاستظهار والاستقواء بفقهاء إفريقية على أبي عبدالله الشيعي الفاطمي (داعية عُبَيْد الله المهدي)؛ لثقتِه في وجاهتهم وشدة تأثيرهم على الناس وقدرتهم على إقناعهم بالوقوف في صفِّه، فاجتمعوا عند عبدالله بن الصائغ (صاحب البريد) الذي نقل إليهم قول زيادة الله بأنَّ أبا عبدالله الشيعي (الخارج على الأغالبة) يلعن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعم أنَّ أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلم ارتدُّوا بعد وفاته، وأنه يُسمي أصحابه بالمؤمنين ويسمِّي الذين يخالفون مذهبه الشيعي بالكافرين، ويبيح دمَ من خالف رأيه. فما كان من هؤلاء الفقهاء إلَّا أنْ أظهروا لعنَ أبي عبدالله الشيعي، وحرَّضوا الناس على قتاله، وأفتوهم بمجاهدته [٢٤١].

(٩) استجابة الأمراء الفورية لنصائح الفقهاء وتلبية مطالبهم:

كانت الاستجابة الفورية لنصائح الفقهاء من قبل الأمراء والحرص على تنفيذ مطالبهم مظهرًا من مظاهر تحقُّق وجاهة الفقيه في إفريقية خلال عصر

الأغالبة، دليلُ ذلك أنَّ الفقيه سحنون دخل على الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤١-٨٥٦م) أوَّلَ يومٍ من شهر رمضان، فوجده خاليًا، فقال له: "أراك أيها الأمير خاليًا"، فقال: "نعم، انفردنا في هذا الشهر المعظم، وخلونا فيه، وتركنا ما كان لغير الله عزَّ وجلَّ". فنصحه بأنْ يستقدِمَ إسحاق المَلْشُوني [٢٤٢] يحدِّثُه بأخبار الأمم السالفة والأعوام الماضية، فما كان من الأمير إلَّا أنْ قَبِلَ النصيحة واستجاب لها بصورة فوريَّة، حيث أمر بإحضار ابن المَلْشُوني، فكان يحضر عنده في كلِّ يوم يحدثه بذلك حتَّى انقضى شهر رمضان [٢٤٣].

وحدث أنْ تكلَّم الأمير أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م) في حال سُكْرِه بكلام يُشْعِرُ بالكُفْر، فَأُعْلِمَ بذلك حين أفاق، فندم وجمع الفقهاء وسألهم: هل له من توبة؟ فأعلمه الفقيه محمد بن يحيى (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) بأنَّه إنْ كان لم يعتقد ما تكلَّم به فالتوبة مبسوطة، ونصحه بالتقرُّب إلى الله بالصدقة، فقام الأمير على أثر ذلك بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت المال، وأمر ببناء عدة مواجل عند أبواب مدينة القيروان، وبناء ماجل القصر الكبير بسوسة، كما زاد في بناء جامع القيروان، وبنى جامع مدينة تونس، وبنى سور مدينة سوسة، وبنى قصر لَمْطَة، وبنى سور مدينة صفاقس، وتصدَّق بباقي المال على الفقراء والمساكين [٢٤٤]. وكلها أفعال تنمُّ عن أنَّ وجاهة الفقيه عند بعض الأمراء كان لها دور إيجابي على المستوى العمراني والاجتماعي.

وجاء في ترجمة الفقيه ابن طالب (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) أنَّه دخل مع الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) في جنان له قد أثمر، فناوله الأمير من بعض ثمره، فقال له ابن طالب: "أيها الأمير، يجب عليك شكرانُ: أنْ بلغَك غرسَه، ثمَّ أكلتَ ثمرَتَه. فقال له الأمير: "وما هذا الشكر؟".

قال: "أنْ تصلي ركعتين". فأمر الأمير بحصيرين، فبُسِطَ له واحدًا ولابن طالب آخر، فصلَّيَا ركعتَيْن. ثمَّ قال له ابن طالب: "وبقي آخر"، فقال له الأمير: "وما هذا؟"، فقال له: تبعث بصدقة إلى أهل الذِّمْنَة، فإنهم أهل زمانة وضعف"، ففعل الأمير. فقال له ابن طالب: "وبقي آخر". فقال له الأمير: "وما هو؟". قال: "تعزل من عمَّالك من كان جائرًا، وتجعل مكانه من يعدل في الرعية". فأمر الأمير بذلك [٢٤٥]، الأمر الذي يشير إلى أنَّ وجاهة الفقيه قد مكنته من القيام بدور إيجابي مهم، تمثَّل في إقناع الأمير بعزل العمال الجائرين، مما كان يسهم في التخفيف من الظلم الواقع على الرعية.

وعندما مضى الفقيه أبو حفص عبدالجبَّار بن خالد السُّرْتِي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م) إلى الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد لتهنئته بطهور أبنائه لاحظَ أنَّ الأمير بالغ فيما عمله من الأطعمة، ودعا إلى ذلك الأغنياء فقط دون الفقراء، فقال له :"فلو استكملت هذه المسرَّةَ بأنْ تذكرَ الفقراءَ فيها!" [٢٤٦]. وإزاء ذلك قام الأمير بالاستجابة الفورية لطلب الفقيه عبدالجبار؛ حيث قال: "صدقت وبررت"، ثمَّ "دعا بكيس فيه خمسمائة دينار ودفعه لعبد الجبار، وسأله أنْ يفرقه على الفقراء والمساكين، فأجابه عبد الجبار إلى ذلك، فسُرَّ الأمير بذلك". وعندما انصرف عبدالجبار التفت الأمير إلى كاتبه (رجاء بن محمد) وقال له: "يا رجاء، رأيت ما أعقله، وما أظفره! أتعرف في رعيتي مثله؟ إنَّه قضى ذمامنا، وتعافى من طعامنا، وأخرج مالنا فيما يرضينا"[٢٤٧].

وهكذا يدلُّ الخبر السابق على أنَّ وجاهة الفقيه كانت تمكنه من القيام بدوره المجتمعي في مجال الرعاية الاجتماعيَّة للفقراء، وذلك من خلال حثِّ الأمراء على تذكُّر الفقراء في المناسبات الخاصة.

ورُوِيَ أنَّ الأمير إبراهيم بن أحمد السابق جار على الناس وتعسَّفهم، فكتب إليه الفقيه أبو الأحْوَص المتعبد (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) رقعةً أغلظ له فيها، فأتاه

الأمير في الليل وسأله عنها، فقال له "نعم؛ أنا أمليتُها"[٢٤٨]، ثم وعظه فاتَّعظ. فقال له الأمير: "أحبُّ أنْ ترفعَ إليَّ كلما ثبت عندك من مثل هذا فأغيره"[٢٤٩]. وعندما طلب منه أبو الأحوص –في إحدى زيارات الأمير له– أنْ يزيدَ في جامع مدينة سُوسَة الذي أصبح يضيق بأهل إفريقية الذين يقصدون المدينة بغرض الرباط فيها، وأنْ يجريَ ساقية إلى مواجل المدينة، تُوَصِّلُ إليها مياه الأمطار، فينتفع بها الناس والآرامل والأيتام والغرباء والمرابطون، وأنْ يخرجَ مَنْ حبسَهم من أهل تونس؛ أجابه الأمير إلى كلِّ ذلك، وأخرج المحبوسين على الرغم من أنَّ ذنبهم عندَه كان عظيمًا، وزاد في الجامع الثلاثة سقوف العالية التي تلي القبلة. وكان الفقيه المتعبِّد قد سأله أيضًا أنْ يبنيَ للمسلمين مصلًّى يصلون فيه يوم العيد، ففعل ذلك [٢٥٠]، مما يشير إلى أنَّ وجاهة الفقيه كان لها دور إيجابي على المستويين السياسي والعمراني.

هذا؛ وذُكِرَ أيضًا أنَّ الأمير إبراهيم بن أحمد أظهر يومًا في قَصْرِه بمدينة سُوسَة عزفًا ولهوًا، فدخل فقيهٌ من شيوخها إلى المسجد الجامع، فقال لأصحابه: "قوموا بنا إلى هذا الرجل، فقد أحدث إلينا أمورًا لا نعرفها، ولا نصبر له عليها، فإمَّا أنْ يزيل عنا هذا الأمر وإلَّا فأرض الله واسعة، ونحن إنما سكنَّاها للواحد القهَّار". فخرج إلى قصر الأمير، فصحبه أكثرُ من سبعين شيخًا، فامتلأ بهم فضاءُ القصر. وعندما سألهم رجالُ الأمير عن حاجتهم قالوا: "نريد الأمير لنجتمع به"، فقال لهم: "الأمير في شغل، لن تصلوا إليه في يومكم"، فقالوا له: "عرِّفوه أنَّا لا نبرح من هنا حتَّى نجتمعَ به". فدخل الحاجب إلى الأمير فقال له: "شيوخ سُوسة كلهم بالباب، وأرادوا الاجتماع بك". فطلب إليه أنْ يعتذر إليهم؛ لأنه لا يمكنه الاجتماع بهم على هذه الحال، فقال له الحاجب: "اعتذرت فلم يقبلوا عذري وقالوا: لا نبرح حتَّى نرى الأمير". فقال له: "اخرج إليهم فانظر ماذا طَلَبُوه فنفِّذْه لهم". فخرج الحاجب إليهم فقال: "إن الأمير أمر بتنفيذ ما تحبون؛

لأنه على حال لا يمكن الاجتماع بكم". فقالوا: "نحن إنما جئنا إلى هذه المدينة وسكنَّاها لله الواحد القهَّار، وقد أحدثت علينا هذه الأمور من اللهو والعزف، فإمَّا أنْ يقطع عنَّا هذا الأمر وإلَّا فنحن نخرج عنه وأرض الله واسعة"، فعاد الحاجب للأمير فأخبره، فقال للحاجب: "ارجع إليهم فقل لهم: "لن تروا ما أنكرتموه بعد هذا". فانصرفوا، وخرج هو إلى قبة الرمل، فكان يخلو فيها بما يحب، فإذا قضى غرضَه من اللهو رجع ليلًا إلى قصره [٢٥١].

ولا يَخْفَى ما في الخبر السابق من أنَّ الفقهاء العبَّاد كانوا يمتلكون وجاهة خلال عصر الأغالبة. هذه الوجاهة خوَّلت لهم الاعتراضَ على أفعال الأمير التي أحدثها بمدينة سُوسَة من اللهو والعزف وغيره. كما يتضح احترام الأمير لهذه الوجاهة، بدليل أنه رفض مقابلتهم وهو على حال لا تليق بهم؛ اعترافًا منه بوجاهتهم ومكانتهم. هذا فضلًا عن تنفيذه لما أرادوه، على الرغم من أنهم قدَّمُوا له خيارًا آخر تمثَّل في خروجهم عن المدينة في حال رفضه تنفيذ طلبهم بقطع ما أحدثه من المنكر.

وبالجملة؛ فإنَّ مظاهر تحقُّق وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) قد تعدَّدت، فكان منها: طاعة الفقيه في بلده، واستحياء أصحاب المعاصي والجرائم منه، وحرص الأمراء على زيارة بعض الفقهاء في منازلهم، وسعادتهم بحضورهم مناسباتهم الخاصة، وقدرة الفقهاء على تغيير القرار العدائي للأمراء تجاه بعض المدن وأهلها، ولجوء الثوَّار إلى الفقهاء لمساندتهم في ثوراتهم، واستعانة الأمراء ورجالهم بالفقهاء في القضاء على الثورات، والاستجابة الفورية من قبل الأمراء لنصائح الفقهاء وتلبية مطالبهم.

وفي ضوء المظاهر السابقة يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات، وهي:

- إنَّ وجاهة الفقيه مكَّنته من الإسهام بدور إيجابي في **الحراك السياسي**

إبَّان عصر الأغالبة، وهو ما ظهر في قدرته على تغيير بعض القرارات العدائية والانتقاميَّة التي اتَّخذها بعض الأمراء تجاه بعض المدن وأهلها، وفي قدرته –من خلال وجاهته– على القيام بدوره في حلِّ بعض الأزمات والثورات وتهدئة الثائرين وتحقيق التوازن والتوافق بين الرعيَّة والأمراء، وهو ما ظهر بوضوح في ثورة الدراهم؛ حيث تمكَّن الفقيه أبو جعفر أحمد بن مغيث (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) من تحقيق ما عَجَزَ عن تحقيقه وزيرُ الأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦٠–٢٨٩هـ/٨٧٣–٩٠١م) مِنْ القيام بدور الوساطة بين الرعيَّة الثائرة والأمير، مِمَّا أسهم بشكل كبير في حلِّ الأزمة وتهدئة الأوضاع. هذا فضلًا عن دور الفقيه في إقناع بعض الأمراء بإطلاق سراح المسجونين، مثلما حدث من قِبَلِ الفقيه أبي الأحوص (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) الذي أقنع الأمير إبراهيم بن أحد بإخراج المسجونين من أهل تونس، فاستجاب له.

– أسهمت وجاهة الفقيه في تمكينه من القيام بدور إيجابي على **المستوى الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي**، ومن ذلك قيامُه ببعض الأمور التي تصبُّ في صالح الرعية كإقناع بعض الأمراء بعزل العمَّال الجائرين للرعية، وحثِّهم على تذكُّر الفقراء في المناسبات الخاصة، وعلى رأسها ختان الأبناء، الأمر الذي كان يسهم في دعم الفقراء، حيث استجاب بعض الأمراء لذلك وأخرج أموالًا كثيرة لتوزَّع على الفقراء. هذا فضلًا عن قيام الفقيه بدور إيجابي في تغيير بعض الظواهر الغير أخلاقيَّة وكذلك بعض الآفات الاجتماعيَّة السيِّئة، ومنها: تتبُّع بعض الشباب للفتيات في الشوارع، وشرب الخمر، والميل لحياة اللهو والمجون، الأمر الذي كان يسهم في تحقيق التوازن ونشر مكارم الأخلاق.

– أسهمت وجاهة الفقيه في تمكينه من القيام بدور إيجابي على **المستوى العمراني**، كنجاحه في إقناع بعض الأمراء بإقامة المشروعات العمرانيَّة التي تخدم الناس، مثل: بناء عدة مواجل في القيروان وتونس وسوسة، وبناء سور

مدينة صفاقس، وبناء قصر لمطة، وبناء جامع مدينة تونس والزيادة في جامع القيروان، وبناء جامع مدينة سوسة وبناء سورها، وبناء مصلى للعيد فيها، وحفر ساقية إلى مواجلها تُوصِّل مياه الأمطار إليها، فينتفع بها الناس بصفة عامة والآرامل والأيتام والمرابطون بصفة خاصة.

ثالثًا: دور الفقهاء في إعلاء شأن الفقه وإقامة وجاهة الفقهاء خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ):

أظهر بعضُ الفقهاء حرصًا كبيرًا من جانبهم على إعلاء شأن العلم الديني وإقامة وجاهة الفقهاء بالقول والفعل، وذلك على النحو التالي:

(أ) على مستوى القول:

يُقْصَدُ بالقول هنا الكلام الشَّفهي الذي قاله بعضُ الفقهاء بغرضِ إعلاء شأن الفقه وأهله كلمَّا سنحت الفرصة لهم بذلك، وقد تجلَّى ذلك فيما ذكره الفقيه أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ/٨٢٨) الذي استغلَّ التفافَ الناس حوله بمختلف طوائفهم في الإعلاء من قيمة العلم الديني (الفقه) وبيان أثره على أهله، وذلك أثناء تشيعهم له عند خروجه على رأس الجيش المتوجِّه لفتح جزيرة صقلية سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، فعندما خرج إلى مدينة سُوسة ليركب منها إلى صقلية خرجت جماعاتُ الناس ليشيعوه، وأمر الأمير زيادة الله الأغلبي (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م) ألَّا يبقى أحدٌ من رجاله إلَّا شيعه. فلمَّا رأى أسد جموعَ الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقد صهلت الخيول وضربت الطبول ونشرت البنود، وجَّه حديثه إلى جماعات الناس مقيمًا وجاهة العلم (الفقه) أمامهم [٢٥٢]؛ حيث قال: "والله يا معشر الناس، وما ولِّي لي أبٌ ولا جَدٌّ ولايةً قط، ولا رأى أحدٌ من سلفي مثلَ هذا قط. وما رأيتُ ما ترون إلَّا بالأقلام (يقصد

طلب العلم الديني المتمثل في الفقه)، فاجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم"[٢٥٣].

إنَّ هذا القول من قِبَلِ هذا الفقيه الكبير يمكن تفسيرُه بأنَّه أراد أنْ يرفعَ من شأنِ العلم بصفة عامة والفقه بصفة خاصة، وذلك عن طريق بثِّ الوعي في الناس بأهميَّة الانشغال بالعلم والفقه، وأنَّه ليس مضيعة للوقت، وليس حائلًا بين الإنسان وتحقيق الكسب المادي والمكانة الاجتماعيَّة، كما فهم بعضُ الآباء الذين كانوا يحثون أبناءهم على تعلّم صنعةٍ وعدم الانشغال بالعلم، دليل ذلك ما رواه عبد الله بن التبّان[٢٥٤](ت٣٧١هـ/٩٨١م) ، حيث قال:" قال لي أبي ذات يوم يا بني ما يكون منك لا تعرفُ صَنْعَةً، واشتغلت بالعلماء، ولا شيء عندك[٢٥٥]. ولم يغيِّر هذا الأبُ نظرته إلَّا بعد أنْ تأكَّد بالدليل العملي أنَّ العلم يحقق الوجاهة الاجتماعيَّة للمشتغل به، كما أنَّ هذه الوجاهة تطول أهله أيضًا. يقول ابن التبَّان: "فلما كانت ليلة سمعتُه (يقصد أباه) يقول لوالدتي: عرفت اليوم أنِّي عُرِفْتُ بابني، وذلك أنِّي حضرتُ أملاكًا في مسجد سمَّاه، فوجدته مملوءًا بالناس، ولم أجد مجلسًا، فقام لي رجلٌ من مجلسه وأَجْلَسَنِي فيه، فسأله إنسان عنِّي فقال له: أُسْكُت هذا والد الشيخ أبي محمد"[٢٥٦]. كما حدث أنْ زلق هذا الأب في طين أثناء سيره، فبادر إليه رجل، وأخذ بيده، وقال لصاحبه: "هذا والد الشيخ أبي محمد الفقيه"، فرجع الأب على أثر ذلك وهو مقتنعٌ بشأن الفقه ووجاهة الفقهاء، وهو ما ظهر في تغيُّرِ موقفه؛ حيث "حرَّضَ ابنه (أبا محمد) على طلب العلم، والتزم القيام بشأنه من يومئذ"[٢٥٧].

ومن هذا المنطلق يمكن أنْ نتفهَّم غضب أسد من تثاقل الأمير زيادة الله عن الموافقة على خروجه على رأس الجيش من البداية، فكأنَّ أسدٌ فسَّرها بغياب وجاهة الفقهاء لدى الأمير، فقد ذكر المالكي أنَّ زيادة الله أمر بالغزو إلى صقلية، "فسارع أسد إلى الخروج، فكأنَّ زيادة الله تثاقل عن ذلك، فكان أسد يقول: وجدوني رخيصًا (= غياب الوجاهة) فلم يقبلوني، وقد أصابوا من يُجري

لهم مراكبهم من النواتيَّة، فما أحوجهم إلى من يجريها لهم بالكتاب والسنة (= غياب جاه الفقه)" [٢٥٨].

وكان ابن طالب الفقيه (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) –الذي لم يكن شيءٌ أحب إليه من المذاكرة في العلم [٢٥٩]– حريصًا على التأكيد على أنَّ عزَّ الإنسان إنَّما يتحقَّقُ بالقرآن والعلم الديني وليس بوصوله إلى الحكم أو بقرابته من السلطان. وقد أعرب عن ذلك بوضوح قائلًا :"إنَّما العِزُّ لمن كان معه القرآن والعلم. هذا العزيز. وأمَّا من كان معه عزُّ السلطان، فليس بعزيز في داره"[٢٦٠].

وهكذا؛ تدل الأقوال السابقة على أنَّ حرصِ بعض الفقهاء على التأكيد أنَّ العلم الديني (الفقه) والاشتغال به يمكن أنْ يحقِّق للإنسان العز والوجاهة الدنيوية التي قد لا تتحقق لمن يعوِّلُون على عز السلطان ووجاهة السلطة.

(ب) على مستوى الفعل:

يُقْصَدُ بالفعل هنا المواقف الفعليَّة التي تعرَّضَ لها بعضُ الفقهاء، وشعروا فيها بتقليل البعضِ من وجاهة الفقهاء ومكانتهم، سواء أكانوا من الأمراء وذويهم أم من عامة الناس، فجاء ردُّ فعلِهم تجاه ذلك إيجابيًّا وكاشفًا عن حرصهم على تأكيد شأن الفقه ووجاهة الفقهاء. وكان من هذه المواقف ما يلي:

(١) موقف الفقيه ابن غانم من محاولة الأمير النَّيْل من وجاهتِه: فقد حدث أنْ ركب الأمير إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١٢م) يومًا والفقيه القاضي ابن غانم (ت١٩٠هـ/ ٨٠٥م) معه، فلمَّا صارا إلى السُّوق الكبير حرَّك إبراهيم دابته فصار أمام ابن غانم، فتركه ابنُ غانم، وعطف في زقاق إلى داره، وشقَّ إبراهيمُ السّوق إلى دار الإمارة، وهو يظن أنَّ ابن غانم خلفه، فلمَّا وصل افتقده، فأعلموه أنه فارقَه من ذلك الموضع، فبعث في طلبه، فلما أتاه سأله عن سبب عطفِه عنه ومفارقته [٢٦١]، فقال – مقيمًا وجاهة الفقهاء أمام القائم على رأس السلطة الحاكمة، وهو الأمير الأغلبي–: "أصلح

الله الأمير، إنما نفوذ أحكام القاضي على قدر جاهِه، ولو ساعدتك وحركت دابتي سقطت قَلَنْسُوَتِي، فلعب بها الصبيان"(٢٦٢).

(٢) موقف الفقيه إسماعيل بن رباح من تظاهر الأمير بعدم معرفته: فقد حدث أنْ دخلَ الفقيه إسماعيل بن رباح (ت٢١٢هـ/٨٢٧م) على الأمير الأغلبي عبد الله بن إبراهيم (١٩٦-٢٠١هـ/٢١٢-٨١٧م)، فحاول الأمير التقليلَ من شأنه بالتظاهر بعدم معرفَتِه له؛ حيث سألَه عن اسمه. فلمَّا فَطِنَ إسماعيل إلى غرض الأمير أبَى إلَّا أنْ تكونَ إجابتُه من نفسِ جنسِ غرضِ الأمير، وهو التظاهر بعدم معرفةِ اسم الأمير بغرض التقليل منه كما قلَّل هو منه؛ حيث ردَّ عليه قائلًا: "وأنت ما اسمك؟"، وذلك على الرغم من أنَّ اسم الأمير معلوم للجميع. وإزاء ذلك لم يتمكَّن الأمير من فعل شيء سوى الإجابة بقوله: "اسمي عبدالله". فقال له إسماعيل :"وأنا اسمي اسماعيل"(٢٦٣).

ولا يَخْفَى أنَّ إسماعيل أراد أنْ يلقِّنَ الأميرَ درسًا مفاده أنَّه مثلما أنَّ للأمير وجاهةً، تحققت له من خلال الوصول إلى الحكم والسلطان؛ فإنَّ للفقيه أيضًا وجاهةً مماثلة، تحققت له بالانشغال بالفقه، وأنَّ أيَّ محاولة للتقليل من وجاهة الفقيه سيقابلها تقليلٌ من وجاهة الأمير.

(٣) رَفْض بعض الفقهاء كلام الأمراء في الدين وتفكُّهِهِم بالآراء الفقهيَّة: أظهر بعضُ الفقهاء رفضًا لكلام الأمراء الأغالبة في الأمور الدينية، وبخاصةٍ إذا كان هؤلاء الأمراء لا يمتلكون المفاتيح التي تؤهلهم لذلك، والتي يمتلكها الفقهاءُ المتخصصون. وقد ظهر ذلك بوضوح في موقف الفقيه عبدالله بن حسان اليَحْصُبي (ت٢٢٧هـ/٨٤١م) من محاولة الأمير الأغلبي أبي عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٧-٨٤١م) الدخول في مناظرة في الدين، وهو غَيْرُ عالمٍ به، وذلك في حضور عددٍ من الفقهاء؛ حيث عارضَه، وقال له: "ما للملوك والكلام في الدين"(٢٦٤).

وعلى الرغم من أنَّ الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) قد أبدى اهتمامًا كبيرًا بالعلوم الدينية، وبخاصة العلوم المتعلقة بالفتاوى؛ فإنه عندما اجتمع في مدينة رقَّادة بالفقيهيْن: يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) وحَمْدِيس القطَّان (ت٣٠٣هـ/٩١٥-٩١٦م)، وفتح معهما مناظرات فقهية، لم يقبلا بها إلَّا عن مضض[٢٦٥]؛ حيثُ بادر الفقيه حَمْدِيس بالاعتذار للأمير عن حضور مجلسه مرَّة أخرى، ثمَّ تبعه -في ذلك- الفقيه يحيى الذي طلب من الأمير أنْ يعفيه أيضًا من الحضور[٢٦٦].

هذا؛ وقد رفضَ بعضُ الفقهاء تفكُّهَ بعضِ الأمراء الأغالبة بالآراء الفقهية؛ الأمر الذي جعلهم يمتنعون عن الإجابة عن بعضِ المسائل التي وجهوها إليهم؛ لأنهم يعرفون أنَّ غرضَهم من السؤال يكمنُ في الوصول إلى ما يرضي شهواتهم من الرُّخص، وليس الوقوف على الرأي الفقهي السليم. وفي هذا الإطار نجد الفقيه سحنون يرفض الإجابة على مسألة نزلت بالأمير الأغلبي زيادة الله (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م)، ويُعِيدُ إليه الرسولَ بلا جواب، وكان ذلك قبل تولِّيه القضاء [٢٦٧]. وعندما نصحه بعضُ أصدقائه بالخروج من بلد الأمير؛ خوفًا عليه بعد رفضِه الإجابة على مسألته، ردَّ عليه موضحًا له أنَّ سبب عدم إجابته يكمن في غرضِ الأمير نفسه من السؤال، والذي تمثَّل في التفكُّه بآراء الفقهاء؛ فهو يريد أنْ يعرف أقوالهم المختلفة بهدف البحث عن مخرجٍ لتبرير بعض أفعاله ومواقفه، وليس بهدف معرفة الرأي الفقهي الصحيح[٢٦٨]، وهذا ما أعربَ عنه سحنون بقوله: "أَأُجيبُ رجلًا يتفكَّه بالدين، ولو علمْتُ أنَّه يقصد الحقَّ أجبته"[٢٦٩].

وقد عبَّر سحنون عن هذا المعنى -بوجه عام- في موقف آخر قال فيه: "ما أقبح بالعالم أنْ يُؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه، فَيُسْأَلُ عنه، فَيُقَالُ: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي؛ فإنَّ هذا وشبهه لأشر من علماء بني إسرائيل؛ لأنَّه بلغني أنهم كانوا يلقونهم من الرُّخص بما يحبون مما ليس

عليه العمل وما هو متروك، ويتركون أنْ يلقوهم بما عليه العمل وفيه النجاة لهم؛ كراهية أنْ يستثقلوهم. ولعمري لو فعلوا ذلك لربحوا، ولوجب أجرُهم على الله عز وجل"(٢٧٠).

وقد تكرَّر الأمرُ نفسُه من جانب الفقيه حَمْدِيس القطَّان(٢٧١) (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) الذي رفض إجابة الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م) عن مسألة سألَه عنها. وعندما قال له الأمير: "أسألكَ ولا تُجيبُني؟ قال له: "تريد أنْ تَتَمَنْدَلَ بي؟ إنَّ سؤالَك إيَّايَ تَفَكُّهٌ، ليس لأنْ تَعْمَلَ به"(٢٧٢).

وهكذا؛ تدل الأخبار السابقة على أنَّ الفقهاء كانوا حريصين على إعلاء شأن الفقه وإظهار وجاهة أهله من خلال رفضهم لتفكُّه الأمراء بآراء الفقهاء.

(٤) موقف الفقيه سعيد بن عبَّاد (ت٢٥١هـ/٨٦٥م) من قاضٍ ازْدَراه: فقد ذكر صاحب (ترتيب المدارك) أنَّ هذا الفقيه كانت لامرأة عنده شهادة، فأتته فوجدته في خُمْرة طين قد بلغت منه إلى فوق الركبتين، وهو يعجنها، فدعته لأداء الشهادة، فاعتذر لها بأنه مُسْتَأْجَرٌ، فأذِنَ له صاحبُ البناء في الذهاب معها، وجعله في حل، فَسَلَتَ الطينَ من ساقيه، وتلفَّح في كساء موصولٍ مرقوع. وعندما وصل إلى القاضي –وكان من أتباع المذهب الحنفي الذي اعتمده الأغالبة مذهبًا لهم– أظهرَ استخفافًا به؛ حيث قال له: "يا شيخ، صلاتك بالصيف والشتاء واحدة؟ فقال له: "نعم"، وذكر له بعض الأحاديث. غير أنَّ سعيد شعر بأنَّ القاضي يزدريه، مما جعله يقول له: "أنت لعَّاب، والله لا شهدت عندك بشهادة أبدًا". ثمَّ قام، وعرَّف القاضي بنفسه، وأخذ في الخروج من عنده، فأخذ القاضي يصيح وراءَه: يا أبا عثمان، يا أبا عثمان. فلم يلتفت إليه (٢٧٣).

(٥) إقامة جاه الفقه والفقهاء أمام الذين لا يعترفون إلا بجاه المال وأهله: ومن ذلك أنَّ الفقيه أبا هارون الأندلسي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) أظهر

اهتمامًا كبيرًا بإقامة جاه الفقه ووجاهة الفقهاء الذين كان يغلب على معظمهم الفقر والزهد أمامَ حجَّام (حلَّاق) لا يعترف إلَّا بجاه المال، يقول أبو بكر الصقِلِّي (أحد رجال الفقيه يحيى بن عمر ت ٢٨٩هـ/٩٠١م) :"كنت أخدم أبا هارون الأندلسي، وكان أبي كثيرَ الصحبة له. قال: فجئت معه يومًا إلى حانوت حجَّام عند المسجد الجامع بسوسة؛ ليأخذ له من شعره، فوجدنا الحجَّام يحلق رأس رجل، فسلَّمْنَا، وجلَسْنَا ننتظر فراغَه، حتى أتى رجلٌ من أهل الدنيا (غنيٌّ = وجاهة المال والثروة)، فسلَّم وجلس، فردَّ عليه الحجَّام، وقال له: ارتفع يا سيدي، وأعظمه. فلمَّا قام الرجل الذي بين يديه قال للرجل الدنيائي: اعزم يا سيدي، وصبَّ على رأسه، ولم يلتفت إلى أبي هارون. قال أبو بكر :"فغضبْتُ من فعل الحجَّام؛ إذ لم يعطِ الشيخَ حقَّه، ولا سيما أنه سَبَقَ. فقلت للشيخ بيني وبينه: قم بنا إلى غيره. فقال لي: لا. فقلت له: ألا تراه قدم عليك رجلا من أهل الدنيا، وأنت سبقتَ، ولم يعرف قدْرَك (= وجاهتك)، فأشار إليَّ أنِ اسكت، فسكتُّ، ولم أقدر أنْ أخالفَه". فلما فرغ من الرجل بلَّ الشيخُ رأسَه، وجلس بين يديه، وحلق رأسه. قال: وحلقتُ رأسي بعده، فلما فرغنا أخرجَ الشيخُ أبو هارون من جيبه خرقةً، حلَّها، وأخرجَ منها دينارين، ودفعهما إلى الحجَّام، وخرج، فبقي الحجَّام باهتًا ينظر إليه. فلما خرجنا قلت للشيخ: "لِمَ فعلتَ هذا، أصلحك الله؟ هذا رجل لم يعرف قدرك (= وجاهتك)، وقدَّمَ عليكَ من سبقتَه أنت، وحقَّرك، فأعطيته دينارين ليس معك غيرهما؟ فقال لي: إنما أردتُ أنْ أقيم جاهَ الفقر والفقراء عنده؛ حتَّى لا يعود أبدًا يقدم دنيائيًّا على فقير، ولا يرى فقيرًا إلَّا نظر إليه بعين الجلالة"[٢٧٤].

ويتصل بذلك ما روته المصادر من أنَّ الفقيه زيد بن بشر[٢٧٥] (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م) أقام جاه الفقه ووجاهة الفقهاء أمام خرَّاز[٢٧٦] لا يعترف إلَّا بوجاهة الأغنياء وسلطة المال، فعندما كان يمرُّ في طريقه إلى الجامع بمدينة

تُونِس على الخرَّازين، فأقبلَ يوما مع الطلبة، إذ بشاب من الخرَّازين قام على دكانه، وقال لجارٍ له (من الخرَّازين أيضًا): إلقِ (أي: استقبلْ وانظرْ) التيسَ، ما رأينا أوحشَ من هذا الشيخ ولا أوحشَ لباسًا منه، فنكسَ الفقيهُ زيدٌ رأسَه. فلما انصرَفَ من الجامع عاوده الخرَّاز بقبيحٍ، فلم يلتفت إليه زيد، وهمَّ طلبتُه بضرب الفتى؛ لاستخفافِه بشيخِهم وامتهانه بعلمِه، فنهاهم الفقيه وأخبرهم بأنه سيصلح حالَه. ثمَّ صرَّ في صرَّةٍ عشرة دراهم وجعلها في جيبه، واستعمل لفردة نَعْلٍ من نعليه قِبَالًا[٢٧٧] واهيًا، ثمَّ توجَّه إلى الجامع. فلما مرَّ بالشاب الخرَّاز، قام لعادته وتكلَّم بقبيح قولِهِ، فلمَّا حاذاه الفقيه اتَّكأ على نعلِهِ فقطع القِبَالَ، ثمَّ مال إلى الشَّاب فسلَّمَ عليه وقال: "أي بنيّ! لعلَّ عندك قبالًا؟"، فأعطاه قبالًا، فأدخلَ زيد يدَه فأخرجَ الصرَّة من جيبه ودفعَها له، فقال له الشَّاب: "ما هذا؟"، فردَّ عليه الفقيه قائلًا: "صنعت لنا قبالًا فكافأناك، ولك عندنا أمثالها". وسار إلى الجامع، فلمَّا كان انصرافُه منه، ومرَّ بالشَّاب، قام على قدميه، وقال: "الحمد لله الذي خصَّ بلدنا بهذا الشيخِ الفاضلِ، اللهمَّ أبقِهِ لنا، واحرزْهُ على المسلمين، فلقد انتفعَ به شبابُنا، وحظِيَ به شيوخُنا". فقال له جارٌ له: "ما هذا؟"، فقال له الشاب: "اسكتْ! إنه أعطاني عشرة دراهم على إصلاح قبالة نعله، فليت له ببلدنا آخر"[٢٧٨].

وهكذا؛ يتضح أنَّ الفقهاء كان لهم دورٌ إيجابي في إعلاء شأن الفقه وإقامة وجاهة أهله أمام من لا يعترفون إلَّا بجاه المال والسلطان، وأنَّ هذا الدَّور كان على مستوى القول والفعل.

وفي النهاية يتضح أنَّ وجاهة الفقيه قد تحقَّقت في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) من خلال عدة معايير، وأنَّ هذه الوجاهة كانت لها مظاهرها وآثارها التي أعربت عنها، وأنَّ الفقهاء كان لهم دورٌ بارز في إعلاء شأن الفقه وإقامة وجاهة الفقهاء بالقول والفعل.

الخاتمة

ناقش البحثُ موضوع (وجاهة الفقيه في إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م). وقد خَلُصَ في النهاية إلى النتائج الآتية:

١- كان للفقهاء وجاهةٌ علميَّة واجتماعيَّة مرموقة في إفريقية خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، وذلك من منطلق زعامتهم الدينية وسلطتهم الروحيَّة التي اكتسبوها باعتبارهم حاملين للعلم الديني، فقد كانوا زعماء حقيقيين لعوام الناس، وأثبتوا أنَّ للعلم الديني -المتمثِّل في الفقه- جاهًا يسير جنبًا إلى جنب مع جاه المال وجاه السلطة خلال عصر الأغالبة.

٢- على الرغم من أهمية معيار تمكُّن الفقيه من الفقه في تحقيق وجاهة الفقهاء؛ فإنه لم يكن المعيار الوحيد في ذلك، فقد كان هناك معايير أخرى مهمة قامت عليها وجاهة الفقيه أيضًا، مثل: معيار الصلاح والورع، ومعيار الزهد في الدنيا وحب الفقر، ومعيار البعد عن السلطان وعدم الانتفاع به، ومعيار الدعاء المستجاب، ومعيار طبيعة معاملة الفقيه للناس، وقرابة الفقيه من فقيه مشهور ذي وجاهة، وتولِّي الفقيه وظيفة القضاء. وكلُّها معايير أسهمت في تحقُّق جاه الفقهاء الذين باتوا يمثلون -وبقوة- ضلعًا مهمًّا في أضلاع مثلَّث الوجاهة في إفريقية إبَّان عصر الأغالبة، وذلك بما اكتسبوه من ثقة من قِبَلِ الناس ومكانة في نفوسهم، وما حظوا به من مكانة لدى الأمراء في بعضِ الأحيان، وخاصة في أوقات الثورات. ومن هنا يمكن القول بأنَّ أضلاع الوجاهة في مجتمع إفريقيَّة خلال عصر الأغالبة قد تمثَّلت في ثلاثة أضلاع، هي: جاه العلم الديني (الفقه)، وجاه السلطة، وجاه المال.

٣- جاءت معايير تحقيق وجاهة الفقيه مكملة لبعضها البعض، وليست منفصلة، بمعنى أنَّ وجود معيار منها كان لا يعني اختفاء الآخر، فكلما توفر

أكبر عدد من هذه المعايير في الفقيه زادت درجةُ وجاهتِه عند الناس.

٤- تمثَّلت مظاهر تحقُّق وجاهة الفقيه خلال عصر الأغالبة في: طاعة الناس للفقيه، واستحياء أصحاب المعاصي والجرائم منه، وحرص الأمراء على زيارة بعض الفقهاء في منازلهم للتبرُّك بدعائهم، وسعادتهم بحضور الفقهاء مناسباتهم الخاصة، وقيام الفقهاء بتغيير القرار العدائي للأمراء تجاه بعض المدن، ولجوء الثوَّار إلى الفقهاء لمساندتهم في ثوراتهم، واستعانة الأمراء بالفقهاء في القضاء على تلك الثورات، والاستجابة الفورية من قبل الأمراء لنصائح الفقهاء وتلبية مطالبهم.

٥- أسهمت وجاهة الفقيه في تمكينه من القيام بدور إيجابي على المستوى السياسي، كقيامه بتغيير بعض القرارات العدائيَّة التي اتخذها بعض الأمراء الأغالبة تجاه بعض المدن وأهلها، وإقناع بعض الأمراء بعزل العمَّال الجائرين، وكذلك إسهام الفقيه الفعَّال في الحراك السياسي من خلال تمكنه من حَلِّ بعض الأزمات والثورات الكبرى وتحقيق التوافق بين الحاكم والرعيَّة الثائرة عليه، مثلما حدث في ثورة الدراهم سنة (٢٧٥هـ/٨٨٥م)، حينما تمكَّن الفقيه ابن مغيث (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) من القيام بما عجز عنه وزيرُ الأمير إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/٨٧٣-٩٠١م)؛ حيث تمكَّن -بفضل وجاهته عند الناس- من القيام بدور الوساطة بين الثوَّار والأمير، وهو ما ظهر في قبول الثوار له والاستماع إليه، مما أسهم في تهدئة الأمور وحل الأزمة. هذا فضلًا عن دور بعض الفقهاء في إقناع الأمراء بإطلاق سراح بعض السجناء، على الرغم من عظم ذنبهم من وجهة نظر الأمراء.

٧- أسهمت وجاهة الفقيه في تمكينه من القيام ببعض الأدوار الإيجابيَّة على المستوى الأخلاقي والاجتماعي، ومنها دورُه في تغيير بعض السلوكات السيئة والغير أخلاقية في المجتمع، كتتبُّع بعض الشباب للفتايات في الشوارع،

ومواجهة بعض الآفات الاجتماعيَّة، وعلى رأسها شرب الخمر. هذا فضلًا عن الدور الإيجابي لبعض الفقهاء في مجال الرعاية الاجتماعيَّة، وهو ما ظهر في حثِّ بعض الأمراء على تذكُّر الفقراء في مناسباتهم الخاصة، وعلى رأسها ختان الأبناء ممَّا كان له أثره في قيام بعض الأمراء بإخراج الأموال؛ لتوزيعها على الفقراء.

٨- أسهمت وجاهةُ الفقيه في تمكين بعض الفقهاء من القيام بدور إيجابي على المستوى العمراني، وهو ما ظهر في إقناع الأمراء بإقامة بعض المشاريع العمرانية التي تخدم الناس، ومنها: بناء عدة مواجل في القيروان وتونس وسوسة، وبناء سور مدينة صفاقس، وبناء قصر لمطة، وبناء جامع مدينة تونس، والزيادة في جامع القيروان، وبناء جامع مدينة سوسة، وبناء سورها وبناء مصلًّى للعيد فيها، وحفر ساقية إلى مواجلها تُوصِّل مياه الأمطار إليها، فينتفع بها الناس بصفة عامة، والآرامل والأيتام والمرابطون بصفة خاصة.

٩- أظهر البحث -في النهاية - أنَّ الفقهاء كان لهم دورٌ ملموس وواضح في إعلاء شأن العلم الديني (الفقه) وإقامة وجاهة الفقهاء أمام عوام الناس والأمراء على حدٍّ سواء، وذلك من خلال بيان أهمية الانشغال بالفقه في تحقيق الوجاهة الاجتماعية والوصول إلى أعلى المناصب، وكذلك حرصهم على إقامة جاه الفقه ووجاهة الفقهاء أمام مَنْ لا يعترفون إلَّا بجاه المال والسلطة السياسية، وكذلك رفضهم لتفكُّهِ بعض الأمراء بالآراء الفقهية.

الحواشي

(١) سورة (الأحزاب)، آية (٦٩).

(٢) سورة (مريم)، آية (٣٥).

(٣) سورة (المُجادلة)، آية (١١).

(٤) سورة (آل عمران)، آية (١٨).

(٥) ابن جماعة الكِناني: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالِم والمتعلم، شركة دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، ط٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٣٧.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣٠، كتاب: العلم، باب: من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، حديث رقم (٧١).

(٧) حسن حسني عبدالوهاب: مجمل تاريخ الأدب التونسي، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٨م، ص ٣٥؛ رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ١٩٨١م، ص٧٠.

(٨) هو أبو سعيد سحنون بن سعيد التَّنُوخي. وسحنون لقب لحِدَّة ذهنه، واسمه عبدالسلام. تفقَّه بابن القاسم وابن وهب وأشهب. ثمَّ انتهت الرياسة إليه في العلم بالمغرب. صنَّف المدونة، وعليها اعتمد أهل إفريقيّة، وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك. وعنه انتشر علم مالك بالمغرب. توفي سنة (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، انظر الشيرازي: طبقات الفقهاء، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت،١٩٧٠م، ص ١٥٦-١٥٧؛ ابن خِلِّكان: وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م، ج٣، ص ١٨٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ٢٠٠١م، ج١٢، ص ٦٥-٧٠.

(٩) هو أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سنان، وكنيته أبو عبدالله، فهو نيسابوري الأصل قيرواني التربية، رحل أبوه إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث. بدأ حياته كمعلم للقرآن، ثمَّ توجَّه إلى العراق ومصر، ووضع كتابه المعروف بالأسدية. تقلَّد القضاء للأمير زيادة الله الأغلبي، ثمَّ تقلَّد إمارة الجيش المتجه لفتح جزيرة صقليَّة. توفي متأثرا بجراحات أصابته وهو محاصر لِسَرَقُوسَة سنة (ت٢١٣هـ/٨٢٨م). انظر الدبّاغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص ٣-١٤.

(١٠) المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ت: بشير البَكُوش، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(١١) ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م، ج١، ص ١٣٧؛ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية_ التاريخ السياسي، ترجمة: د/المنجي الصيّادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٥م، ص ٢٤١.

(١٢) لعلَّ مِمَّا يؤكّد ذلك أنَّ الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦٠-٢٨٩هـ/ ٨٧٣-٩٠١م) غار من الفقيه عبدالله بن طالب (ت٢٦٩هـ/٨٨٢م)، وخَشِيَ على ملكِه منه، بعدما تحقَّقت له الوجاهة في نفوس الناس، فقرَّر إماتةَ اسمِه بعزله عن القضاء، ففعل ذلك سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٨٦.

(١٣) من الأمثلة على ذلك ما روي من أنَّ الفقيه ابن غانم (ت١٩٠هـ/٨٠٦م) شاهدَ قارورة سمٍّ قاتل في يد الأمير إبراهيم بن الأغلب، فأخذها منه وكسرها وأهرق ما فيها، فلمَّا عاتبه الأمير ردَّ عليه موبِّخًا إياه، حيث قال: "أفأترك معك ما يقتلُ الناس؟!" فلم يستطع الأمير فعل شيء سوى الصَّمت، انظر المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٢٤. وراجع خبرًا آخر في (ص ٢٢٥ من المصدر نفسه) قام فيه الفقيه نفسه بتوبيخ الأمير نفسه أمام الناس، ولم يفعل له الأخيرُ شيئًا.

(١٤) بحث أعدَّه الباحث محمود عبد المقصود ثابت، وهو منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، ع٤، يوليو ٢٠١٤م.

(١٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٠٣.

(١٦) ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ١٣٦.

(١٧) المصدر السابق، ج١، ص ١٣٠.

(١٨) د. عبدالرحمن بشير في أثناء حديثه عن فقهاء الأندلس في عصر المرابطين، انظر كتابه: الفقيه والسلطان: الفقهاء والعتزال والدولة في المغرب الإسلامي ٢-٥هـ/٨-١١م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيَّة، ٢٠١٠م، ص٧.

(١٩) المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ١٣٤٢هـ، ج٢، ص ٣٢٤.

(٢٠) الجرجاني: التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص ٢١٠؛ الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢،

١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٩٤٧.

(٢١) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢٢) السرخسي: المبسوط (ج١٦)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٦، ص ٧٢.

(٢٣) العراقي: طرح التثريب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ج٨، ص ٧٢.

(٢٤) عِياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص ٣٧٧.

(٢٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص٥١٤.

(٢٦) المصدر السابق، ج١، ص٤٦٥.

(٢٧) يُقْصَد بمصطلح (إفريقيَّة) هنا معناه الخاص الذي أُطْلِقَ على المغرب الأدنى، وليس معناه العام الذي أُطْلِقَ على المغرب كله. وإفريقيَّة بمعناها الخاص تشملُ الآن من الدول الحاليَّة: دولةَ تونس، والجزء الشرقي من دولة الجزائر، والذي كان يُعْرَفُ قديمًا بإقليم الزَّاب، انظر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، لَيْدن، ١٩٠٩م، ص ٢١٩-٢٢٠؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة بالقاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م، ص ٢٦.

(٢٨) من الأمور المميِّزة لعصر الولاة في المغرب أنَّ هذا العصر لم ينتهِ عند تاريخ واحد بالنسبة لأقاليمه المختلفة، فقد انتهى في المغرب الأدنى بقيام دولة الأغالبة سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م)، وفي المغرب الأوسط بقيام الدولة الرستميَّة سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، وفي المغرب الأقصى بقيام دولة بني مدرار سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)، انظر حسين مؤنس: مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٩٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، قسم٣ (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ص ١٤.

(٣٠) ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص٩٢

(٣١) للوقوف على تفاصيل التاريخ السياسي لدولة الأغالبة وسِيَر حكَّامها، انظر ابن الآبار: الحُلَّة السِّيَرَاء، ج١، ١٩١؛ ابن عذارِي: مصدر سابق، ج١، ص٩٢-١٢٥؛ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٠٤.

(٣٢) للوقوف على تراجمهم وفقههم؛ انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص ١٦٨-١٩١.

(٣٣) المصدر السابق، ج١، ص ١٧٦.

(٣٤) الفِرد بِل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، ص ٩٧؛ ناريمان عبدالكريم أحمد: مجتمع إفريقية في عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٦.

(٣٥) الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص٢٢٤، ج٢، ص٣٣.

(٣٦) ناريمان عبدالكريم: مرجع سابق، ص ٣٠٦، ٣٠٩.

(٣٧) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠.

(٣٨) هو أبو عمرو البُهلُول بن راشد. روي عن مالك بن أنس وغيره. كان رجلًا صالحًا مستجاب الدعوة. سمع منه سحنون وغيره. وقد أدت انتقاداته للسلطة السياسية القائمة إلى محنته التي توفي فيها بالقيروان سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م)، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج١، ص٢٢٣-٢٣٣.

(٣٩) هو عبدالله بن عمر بن شُرْحبيل الرُّعَيْني قاضي إفريقية وصاحب مالك بن أنس. ولَّاه هارون الرشيد القضاء سنة (١٧١هـ)، فكانت له سلطة تُعَادِلُ سلطةَ الأمير الأغلبي. توفي سنة (١٩٠هـ/٨٠٦م)، انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢١٥-٢٢٩؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٨٦.

(٤٠) هو عبد الله بن فَرُّوخ الفارسي، من شيوخ أهل إفريقية خلال عصر الولاة، كان مباينا لأهل البدع قليل الهيبة للملوك. مات بمصر، ودفن بالمقطم سنة (١٧٦هـ)، انظر: أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية وتونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص٣٤-٣٧؛ ابن خلدون: المقدمة، ت: د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، ط ٢، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٨٨٠-٨٨١؛ عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ٦٣.

(٤١) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٠٢؛ وانظر عِياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ١٨٨.

(٤٢) الدباغ: مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٣.

(٤٣) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢.

(٤٤) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ١٩٨.

(٤٥) هو أبو الأَحْوَص أحمد بن عبدالله، كان من أهل الفضلِ مكفوف البصر، وكان يسكن مدينة سُوسَة مرابطًا بها، توفي سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م)، انظر عِياض: تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، ت: د. محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٨م، ص٣٠٠-٣٠٣؛ ابن عذارِي: البيان المغرب، ج١، ص١٣٠.

(٤٦) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٥٢٣.

(٤٧) الدباغ: معالم الإيمان، ج١، ص ٢٠٧.

(٤٨) المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢.

(٤٩) المقري: نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج١، ص ٢٢١.

(٥٠) أعربت عن ذلك مواقف الناس مع العالم اللغوي الكبير أبي الوليد المهريّ (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م)، والتي أظهرت مدى تقدير الناس وتعظيمهم لأهل العلم بوجه عام، انظر الزُّبيدي: طبقات النحويين واللغويين، طبعة دار المعارف بالقاهرة، (د.ت)، ص ٢٢٩، ٢٣٢. وقد علَّق على ذلك المالكي –الذي توفي سنة (٤٩٤هـ)– بقوله في (رياض النفوس، ج١، ٤٠٤–٤٠٥) :"وكان الناس من تعظيم أهل العلم والأدب على خلاف ما هم عليه اليوم".

(٥١) علي أومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

(٥٢) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ١٥٠.

(٥٣) محمود إسماعيل: الأغالبة (١٨٤–٢٩٦هـ) سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط٣، ٢٠٠٠م، ص ١٨٩.

(٥٤) ليليا بنسالم وآخرون: الأنتربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨م، ص ٤٥؛ عبد الرحمن بشير: الفقيه والسلطان، ص ٧.

(٥٥) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٠٤.

(٥٦) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٦.

(٥٧) هو الفقيه يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي. سمع بإفريقية من سحنون وغيره. كان له كرسي في جامع القيروان، يجلس عليه ويسمع الناس. وكان كثير النهي عن كل محدثة وبدعة. يقال إنَّه أنفق في طلب العلم ستة آلاف دينار. توفي بمدينة سوسة، انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٩٠–٥٠٠.

(٥٨) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٠٧.

(٥٩) نفسه.

(٦٠) هو الفقيه أحمد بن معتب بن أبي الأزهر، سمع من الفقيه سحنون ومن غيره، وكان فقيها صالحًا. توفي سنة (٢٧٧هـ/٨٩٠م)، انظر عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٠٢–٥٠٤.

(٦١) الخُشَني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص ١٨٩.

(٦٢) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٥٠٣.

(٦٣) هو ابن الفقيه سحنون بن سعيد، كان إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب، سمع من أبيه ومن غيره، ورحل إلى المشرق فلقي أبا مُصْعَب الزُّهْري. يقال إنَّه ألَّف كُتُبًا كثيرة تنتهي إلى المائتين، توفي (٢٥٦هـ/٨٦٩م)، انظر ابن سحنون: آداب المعلمين، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢م ، ص ٢٥ من المقدمة؛ الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٦٥-٧١.

(٦٤) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٤٨.

(٦٥) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٧١.

(٦٦) الخشني: مصدر سابق، ص ٢٠٦.

(٦٧) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٢٧١.

(٦٨) المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٣؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤١.

(٦٩) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٥.

(٧٠) هو الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي حسَّان اليَحْصُبي، كان له علم وفصاحة مُقدَّم في شيوخ إفريقية. سمع من مالك ومن غيره، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢-٣٤.

(٧١) عياض: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٨- ٢٧٩.

(٧٢) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣-٤٤.

(٧٣) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٧٤) اسمه أحمد بن موسى الأَزْدِي، سمع من أسد بن الفرات وسحنون. كان جامعًا لخصال من الخير، منها سلامة الصدر واللسان واليد، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص٨٣-٨٤.

(٧٥) المصدر السابق، ج٢، ص ٨٤.

(٧٦) الخشني: مصدر سابق، ص ٢٠٥.

(٧٧) تراجم أغلبية، ص ٣٠٧.

(٧٨) معالم الإيمان، ج٢، ص ١٥٩.

(٧٩) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٢٥.

(٨٠) الدَّباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٦٦.

(٨١) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٤٢٥.

(٨٢) المصدر السابق، ج١، ص ٥٠٦

(٨٣) هو الفقيه حسن بن البناء، توفي في صدر الدولة الفاطمية (٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٢م)، انظر الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص ٢١٣.

(٨٤) نفسه.

(٨٥) نفسه، ص ٢١٣.

(٨٦) هو عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح الإفريقي، من العَجَم، ولد باساحل إفريقيَّة سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م). عمل والده على تعليمه منذ صباه، سمع من الفقيه سحنون ومن غيره، كان يشبه سحنون في هيبته. تولى القضاء سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) وظل قاضيًا إلى سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م). توفي سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٤٥؛ مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٢٤٦؛ أحمد الأسود: عيسى بن مسكين والتراجم المالكية، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول بعنوان (النخب والسلطة السياسية من خلال كتب الطبقات)، تونس ١٦،١٧،١٨ نوفمبر ٢٠١٢م، ٢٠١٤م، ص ٣٠٢-٣٠٦.

(٨٧) الخشني: مصدر سابق، ص ١٩٤.

(٨٨) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٩- ١٠، ١٦، ٣٢، ٣٧.

(٨٩) المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٥.

(٩٠) المصدر السابق، ج٢، ص ١٧، ١٤٣.

(٩١) يكنَّى بأبي جعفر، وهو فقيه روى العلم عن أبيه (داود المعروف بالصوَّاف) الذي كان من أهل العلم ومن مقدمي رجال سحنون، انظر عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٥١٠.

(٩٢) الخشني: مصدر سابق، ص ١٩٠، ١٩٢.

(٩٣) من أعلام الفقهاء العراقيين بإفريقيَّة، ترجم له الخشني في طبقاته، وعدَّه في مقدمي رجاله، ولم يذكر سنة وفاته، انظر المصدر السابق، ص ٢٤٧.

(٩٤) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٥١٤.

(٩٥) الخشني: مصدر سابق، ص ٢٤٧.

(٩٦) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٥١٤.

(٩٧) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٦٤- ٣٦٥؛ المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٤٠.

(٩٨) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٩.

(٩٩) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفرِيقيّة وتونس، ص ٨٦.

(١٠٠) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٣٩.

(١٠١) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٤٠.

(١٠٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٣٦، ١٤٥.

(١٠٣) هو عَوْن بن يوسف الخُزاعي، سمع بإفريقية من البُهلول وغيره، وكان فقيها صالحًا زاهدًا مأمونًا. توفي سنة (٢٣٩هـ/٨٥٤م)، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٠-٤٢.

(١٠٤) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٦٤- ٣٦٥.

(١٠٥) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤.

(١٠٦) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥.

(١٠٧) هو عبد الله بن غافق التونسي، سمع من سحنون وزيد بن بشير. عرض عليه الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد قضاء مدينة القيروان فرفض، انظر عياض: تراجم أغلبية، ص ٣٠٩.

(١٠٨) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٧.

(١٠٩) تَهُور: تجري دون فائدة أو جدوى، انظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ج٥، ص ٢٦٩.

(١١٠) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص ١٨٦.

(١١١) نفسه؛ وانظر أيضًا المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٣.

(١١٢) فقيه من طبقة علي بن زياد والبهلول بن راشد، قال بعضُهم: "صقلاب إمام من أئمة المسلمين مأمون على ما سمع من مالك". توفي بالقيروان سنة (١٩٣هـ/٨٠٨م). كتبه الدباغ بالصاد المهملة وليس بالسين (صِقْلاب)، انظر عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(١١٣) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٠.

(١١٤) هو الفقيه أبو الوليد بن الوليد التونسي، كان ثقة حافظًا للحديث، روى عن مالك، سكن تونس وأوطنها وكانت له بالقيروان دار عند باب الريح. توفي مقتولًا بمدينة تونس سنة (٢١٨هـ/٨٣٣م)، انظر أبو العرب تميم: كتاب المحن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٣٣٨؛ المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(١١٥) رياض النفوس، ج١، ص ٢٥٠. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الثورة اندلعت سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤) وانتهت سنة (٢١٣هـ/٨٢٨)، بعدما حققت نجاحًا ملموسًا على الأرض، وهدَّدت حكم الأغالبة تهديدًا كبيرًا. انظر ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٩٨-١٠٣.

(١١٦) الخشني: قضاة قرطبة وطبقات علماء إفريقيّة، ص ١٩٩. وعن ظاهرة اتخاذ الغلمان والتمتع بهم خلال دولة الأغالبة وبعض الدول المعاصرة لها في المغرب انظر: الرقيق القيرواني: قطب السرور في أوصاف الخمور، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سوريا، ١٩٦٩م، ص ١٦١؛ خالد حسين محمود: الرقيق والحياة الاجتماعيَّة ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٩٠-٩٧.

(١١٧) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ١٧٩.

(١١٨) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٤٤؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٤، ت: عمر السعيدي، المعهد الفرنسي، دمشق، (د.ت)، ص ٢٨.

(١١٩) هو أبو يوسف جَبَلَة بن حَمُّود بن عبد الرحمن بن مَسْلَمَة الصَّدَفِيُّ، من أبناء القادمين إلى المغرب مع حَمْلة حسَّان بن النعمان. كان أولا يسمع من العراقيين (أتباع المذهب الحنفي)، ثمَّ تركهم وصحب سحنون وغيرِه. توفي سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، وقيل سنة (٢٩٩هـ/٩١١م). راجع ترجمته كاملة عند الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٨-١٥٥.

(١٢٠) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ٢٩.

(١٢١) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٣.

(١٢٢) هو عبد الخالق المتعبد المعروف بالقَتَّاب؛ نسبة إلى بيع القَّتب، أو القتَّات نسبة إلى بيع القَّت، وهو الفضة. كان من المُجِدِّين في العبادة، الراغبين في الآخرة، كما كان قليل الهيبة للملوك، توفي سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)، انظر المصدر السابق، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦.

(١٢٣) المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٨.

(١٢٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٠.

(١٢٥) دلال لَواتي: عامة القيروان في عصر الأغالبة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٨٦.

(١٢٦) صلاح عثمان أحمد عثمان: الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة وطرابلس منذ القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفرِيقيّة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٥١.

(١٢٧) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقيَّة، ص١٩٦؛ ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٨٤٦.

(١٢٨) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٢.

(١٢٩) المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٧.

(١٣٠) هو أبو يزيد سَهل بن عبد الله بن سهل القِبْرِيَاني، كان فقيها ورعًا، من أهل الحديث، فعَّالًا للخير، وهو الذي بنى القصر الجديد المعروف بقصر سهل قِبلة مدينة سوسة، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٠٤.

(١٣١) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص ١٨٣.

(١٣٢) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٣.

(١٣٣) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٢٥٩؛

Marçais (G.): La berbèrie Musulmane et l' orient au Moyen àge, Paris, 1946, p.94.

(١٣٤) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٤١؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ١٠٩.

(١٣٥) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفرِيقيّة، ص ١٨٦.

(١٣٦) هو أبو زكرياء يحيى بن سليمان الفارسي الحُفْرِي. سُمِّي الحُفْرِي؛ لأنَّ داره كانت على حفرة بدرب أم أيوب بسوق الأحد بالقيروان. سمع منه يحيى بن عمر وغيره. ولد سنة (١٣٤هـ) وتوفي سنة (٢٣٧هـ)، انظر الدبَّاغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٥-٣٦.

(١٣٧) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦.

(١٣٨) منهم على سبيل المثال: الفقيه أحمد بن أبي مُحْرِز (ت٢٢١هـ/٨٣٥م) الذي ولي القضاء مجبورًا من قبل الأمير زيادة الله الأغلبي، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣؛ عبد الحميد محمود حمودة: النظام القضائي في القيروان في عصر الأغالبة ١٨٤هـ-٨٠٠م/٢٩٦هـ-٩٠٨م، الأغالبة ١٨٤هـ-٨٠٠م/٢٩٦هـ-٩٠٨م، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة القاهرة، ع١١، ١٩٨٦م، ص ١١٥.

(١٣٩) لَخْضر محمد بولطيف: فقهاء المالكيَّة والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٩م، ص ٧٣.

(١٤٠) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٢٥.

(١٤١) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٣٤٥؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٧.

(١٤٢) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٨.

(١٤٣) هو أبو عمرو ميمون بن عمرو الزاهد. سمع من الفقيه سحنون وكان معدودًا في أصحابه، وكان رجلا صالحًا ذا دين وفضل. توفي ودفن بالقيروان سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٩٩-٢٠٠.

(١٤٤) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٨٠؛ ميخائيل أماري: المكتبة العربية الصقلية_ نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، ليبُسك، ١٨٥٧م، ص ١٩١.

(١٤٥) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٢، ٣٩.

(١٤٦) الخُشَنِي: طبقات علماء إفرِيقيّة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٨٩؛ وانظر عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٤٧.

(١٤٧) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٥٧.

(١٤٨) المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٦.

(١٤٩) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٣٥١.

(١٥٠) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨.

(١٥١) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦.

(١٥٢) الخشني: مصدر سابق، ص ١٩٤؛ أحمد الأسود: عيسى بن مسكين، ص ٣٠٤.

(١٥٣) هو عبدالجبَّار بن خالد بن عِمْران السُّرْتي. سمع من سحنون وغيره. كان فقيهًا فاضلًا من عُقلاء شيوخ إفرِيقيّة. توفي سنة (٢٨١هـ/٨٩٤م)، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٩٨-١٠٢؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣هـ/١٤٢٤م، ج١، ص١٠٦.

(١٥٤) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٦٦.

(١٥٥) السابق، ج١، ص ٣٥٧.

(١٥٦) للوقوف على نماذج من الفقهاء الذين عُرِفوا باستجابة الدعاء؛ انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١١٦، ١١٩، ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ت: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص ١٥٠.

(١٥٧) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٠٧.

(١٥٨) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص٤٥٩،٤٣٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١١٦.

(١٥٩) المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ١٢٩.

(١٦٠) من أمثلة ذلك: ما ذكره المالكي (مصدر سابق، ج١، ص ٥١٦-٥١٧) من أنَّ الفقيه المتعبِّد أبا هارون الأندلسي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) دخل حلقة القاضي حِمَّاس بن مروان (ت٣٠٤هـ/٩١٦م) فقام إليه القاضي، وأجلسه موضعَه، وحوَّل وجهه إليه. ثمَّ جلس معه ساعة.

وعندما خرج قام معه حِمَّاس، فقال له أبو هارون :"يا سيدي لا تفعل"، فقال :"هذا فرضٌ عليَّ". فقال له الطلبة وابنه سالم :"ياسيدنا، من أين هذا الرجل؟"، فقال لهم :"هذا أبو هارون الأندلسي، وهو مجاب الدعوة ... تُرجى بركة دعائه". ثمَّ وجَّه كلامَه لابنه سالم فقال له :"يا بني، الحقْه، وخذ بحظِّك منه".

(١٦١) هو عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد، كان يعرف بعبدالرحيم المستجاب. كان أوَّل أمره تاجرًا في سوق البزازين في مدينة القيروان، ثمَّ ترك ذلك، وسكن قصر زياد الذي بناه ليكون حرسًا للمسلمين وغوثًا لهم. كانت عنده ضيعة واسعة، تضمُّ سبعة عشر ألف شجرة زيتون، وكان مع ذلك كثير الصدقة والمعروف، انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص٤٢٢-٤٢٣، ٤٣٠.

(١٦٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٨.

(١٦٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المضَّاء الضرير. سمع من سحنون. كان فقيها صالحًا، وهو الذي بنى مسجد الخميس بالدِّمْنَة. توفي سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وقيل: بل توفي سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م)؛ غير أنَّ الدباغ رجَّح الأول، انظر: معالم الإيمان، ج٢، ص ٩١-٩٣.

(١٦٤) عياض: تراجم أغلبية، ص ٢٠٥.

(١٦٥) المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٤.

(١٦٦) نفسه

(١٦٧) نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.

(١٦٨) هو أبو محمد الأنصاري الضرير، كان ضرير البصر والبدن، توفي سنة (٢٥٠هـ)، وقيل سنة (٢٣٠هـ)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٦١-٦٣.

(١٦٩) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤١٢.

(١٧٠) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص ١٠٣.

(١٧١) طبقات علماء إفرِيقيّة، ص ١٩٥.

(١٧٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٣٩. وراجع ص (١٤٢ من المصدر نفسه) ففيها حالة أخرى تخصُّ الفقيه أبا جعفر محمد بن المُنيب المَرْوَزي الذي اتّهم بالكذب.

(١٧٣) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٦٥.

(١٧٤) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤.

(١٧٥) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفرِيقيّة، ص ١٨٤.

(١٧٦) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤.

(١٧٧) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٢٧.

(١٧٨) المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٥.

(١٧٩) المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٧.

(١٨٠) نفسه.

(١٨١) هو محمد بن يحيى بن سلام التميمي، كان فقيها فاضلًا، له عناية كاملة بالحديث، ونقله وروايته وضبطه، توفي سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٧٧-٧٩.

(١٨٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٧٧-٧٨.

(١٨٣) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٧- ٥٢٨.

(١٨٤) نفسه، ج١، ص ٥٠٣؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٩٣.

(١٨٥) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٣-١٠٤، ١٢٩، ١٤١، ١٤٣.

(١٨٦) المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣.

(١٨٧) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٧- ٥٢٨.

(١٨٨) رياض النفوس، ج١، ص ٢٢٨.

(١٨٩) يشير هذا المصطلح -بالإضافة إلى مصطلح الكوفيِّين- إلى أصحاب المذهب الحنفي بالمغرب، وذلك نسبة إلى مكان ظهور ذلك المذهب وشيوعه. وقد أطلقه عليهم أهل البلاد الذين كان أغلبهم على مذهب الإمام مالك المُفَضَّل لديهم في إشارة منهم إلى أنهم أجانب عن المغرب بجنسهم وتفكيرهم، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص٤٧، ٥٩، ج٣، ص١٠٧؛ طه عبد المقصود: المقاومة السنيَّة للدولة الفاطمية في المغرب، ندوة التاريخ الإسلامي الصادرة عن قسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٢٦، ديسمبر، ٢٠١٢م، ص١٠٦.

(١٩٠) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص٤٥١-٤٥٢.

(١٩١) ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٣٣.

(١٩٢) معالم الإيمان، ج٢، ص ٧٧.

(١٩٣) السرخسي: المبسوط، ج١٦، ص ٧٢.

(١٩٤) كنيته أبو العبّاس، واسمه عبد الله بن طالب بن سفيان بن سالم بن عقال بن خفاجة التَّميمي، من فقهاء إفريقيّة المعروفين، تولَّى الصلاة بالجامع الأعظم بالقَيْرَوَان بعد وفاة سحنون سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م)، كما تولَّى القضاء بالقيروان مرتين، الأولى خلال الفترة الزمنية: (٢٥٧-٢٥٩هـ-٨٧٠- ٨٧٢م). والثانية خلال الفترة الزمنية: (٢٦٩- ٢٧٥هـ/٨٨٢-٨٨٨م). مات

مسموما سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، انظر عياض: تراجم أغلبية، ص٢٠٧-٢٣١.

(١٩٥) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص٤٨٢.

(١٩٦) معالم الإيمان، ج٢، ص ٨٦.

(١٩٧) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٥٠٧.

(١٩٨) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٤٢.

(١٩٩) السابق، ج١، ص ٤٤٨.

(٢٠٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٤٢.

(٢٠١) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٦٣.

(٢٠٢) لم يحدد عياض تاريخ وفاته، غير أنَّه ذكر أنَّه سمع من سحنون المتوفَّى عام (٢٤٠هـ/٨٥٤م)، مما يشير إلى أنَّه من أهل القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي).

(٢٠٣) تَوْزَر: قاعدة البلاد الجريدية الإفرِيقيّة، انظر عنها البكري: المسالك والممالك، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢٠٤) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٣٩.

(٢٠٥) المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٥.

(٢٠٦) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٧.

(٢٠٧) المصدر السابق، ج١، ص ٥٢٨. وقسطيليَّة: إحدى كور إفرِيقِيَّة، وتضم عددًا من المدن أهمها مدينة تَوْزَر. وأهلها يستطيبون لحم الكلاب ويُسَمّنونها في بساتينهم ويطعمونها التمر، انظر البكري: مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢٠٨) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص٢٦٩. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ إنكار أسد لم يكن موجهًا لنوع الصَّنْعة، وإنما كان موجهًا إلى عدم مواصلة الشاب لصنعته باستمرار، مما يجعلُ زبائنَه يتفلَّتُون من عنده، كما دلَّت على ذلك تكملة الرواية.

(٢٠٩) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٦٥.

(٢١٠) عياض: مصدر سابق، ج١، ص٥٠٣-٥٠٤؛ الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص٩٤.

(٢١١) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٩٤.

(٢١٢) رياض النفوس، ج١، ص ٣٤١.

(٢١٣) المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٧-٢٧٨. وللوقوف على قيام هذا القاضي بعد ذلك بإنصاف الضعفاء الذين تأذُّوا من رجال السلطة انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٥-٢٦.

(٢١٤) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٥٢.

(٢١٥) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفرِيقيّة، ص ١٨٤.

(٢١٦) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٢.

(٢١٧) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٢١٨) محمود عبد المقصود ثابت: الدور السياسي للعلماء في دولة الأغالبة، ص ٣٨٧.

(٢١٩) الدِّمْنَة: مجتمع خاص بذوي الإعاقة والأمراض المزمنة كالجزام وغيره، والتي يخشى منها تسرُّب العدوى إلى السكان. وقد انتشرت هذه الدِّمْنَات في عدد من مدن المغرب، انظر ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتِي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٣٤٨؛ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ط٢، ١٩٧٢م، ج١، ص ٢٧٣-٢٩٤.

(٢٢٠) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤١٢.

(٢٢١) المصدر السابق، ج١، ص ٤١٩. لم يترجم له غير المالكي، ويظهر من ترجمته أنه كان من أهل القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي). والمُنَسْتِير: من مدن إفريقية، بناها الرومان على ساحل البحر، تقع بين المهدية وسوسة، وهي عبارة عن حصن كبير عالٍ متقن العمل والبناء، يسكنه قوم من أهل العبادة والعلم، وأهل القيروان يتبرعون بحمل الأموال إليهم والصدقات، انظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١٩٨٤،٢م، ص٣٣١؛ De Epalza (M.): "Al-Munastir d, Ifriqiya et Al-Munastir de Xarq-Al-Andalus", in Le patrimoine andalou dans la culture arabe et espagnole, Tunis, 1992, p. 103.

(٢٢٢) رياض النفوس، ج١، ص ٤٨٣.

(٢٢٣) الطرابلسي: المنهل العذب في أخبار طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.ت)، ص٧٠.

(٢٢٤) المالكي: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٦.

(٢٢٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٧.

(٢٢٦) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي حُمَيْد السُّوسي المستجاب، صحب الإمام سحنون. روي أنه كان عظيم القَدْر كبير الشَّأْن وكان يختم في كل ليلة ختمة، توفي سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م)، انظر الدبَّاغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٣٦-١٣٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٤٢.

(٢٢٧) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢٢٨) قصر الطوب: قصر من قصور المرابطين والزهاد في إفريقيَّة، يقع بالقرب من مدينة سوسة، يرجع تاريخ تأسيسه إلى العصر الأغلبي، ويرجِّح البعضُ أنَّه بُنِيَ على يد خلف الخادم سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م)، انظر المصدر السابق، ج٢، ص١٤٠-١٤١، ١٤٩؛

Faouzi Mahfoudh (H): "Qasr Al –T Û b: Un Ribat du Sahel tunisien, cadre géographique et historique", in Africa, XVII, 1999, pp. 97-127.

(٢٢٩) هو أبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي الفقيه، كان من رجال الإمام سحنون، وكان كثير الرواية والجمع للحديث والرباط. ولد سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م)، وتوفي سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)، انظر ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ١٤٥؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٨.

(٢٣٠) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ١٤-١٥.

(٢٣١) عياض: تراجم أغلبية، ص ٣١٩؛

Vonderheyden (M.): La berberie orientale sous la dynastie de Benoù L' Arlab, paris, 1927, p. 311.

(٢٣٢) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٢٥.

(٢٣٣) كان حمديس (أحد رجالات العرب) قد خرج على الأمير إبراهيم بن الأغلب بمدينة تونس، ونزع السواد سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م)، فسَرَّح إليه إبراهيم عمران بن مجالد في العساكر، فقاتله، وانهزم حمديس، ثمَّ انقلب عِمران على إبراهيم وثار ضدَّه، فانضمَّ إليه الجندُ وطلبوا أرزاقهم، انظر البلاذري : فتوح البلدان، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د. ت)، ص ٣٢٧-٣٢٨؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة سلسلة الذخائر ١٥٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٤، ص ١٩٦.

(٢٣٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥، ص٣٦٩؛ النويري: نهاية الأرب في فنون العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٢٤، ص ٥٦. ولعلَّ موقف أسد بن الفرات هذا كان ينطلقُ من فَهمه لأحاديث الفتن والأحاديث التي تنْهى عن الخروج على ولي الأمر، بدليل أنَّه استدلَّ لهم بهذا الحديث.

(٢٣٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٠؛ عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص٢٧٨.

(٢٣٦) هو أبو زَيْد شجرة بن عيسى القاضي بتونس، ولد سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م). وكان من خيار القضاة، وله مناقب كثيرة. توفي سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م)، وهو ابن تسع وتسعين سنة، انظر ابن

يونس: تاريخ ابن يونس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ١٠٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١١٦-١١٧.

(٢٣٧) ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ٩٨-٩٩.

(٢٣٨) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٥٠.

(٢٣٩) رقَّادة: مدينة بإفريقية، بناها الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م) على بعد أربعة أميال من القيروان، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم، فلم تزل دار بني الأغلب إلى أن تغلَّب الفاطميون على بلاد المغرب، انظر ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص ٧٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٧١.

(٢٤٠) ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ١٢٠-١٢١.

(٢٤١) المصدر السابق، ج١، ص ١٣٧.

(٢٤٢) هو ابن أبي عبد الملك المَلْشُوني الذي عرَّف به المالكي في (رياض النفوس، ج١، ص٤٠١) قائلًا: "هو أبو عبد عبد الملك المَلْشُوني وابنه إسحاق... كان صاحب أخبار ومغاز". وقد عرَّف ياقوت بقرية مَلْشُون قائلًا: "مَلْشُون: من قرى بِسْكَرة في ناحية إفرِيقيَة، ينسب إليها أبو عبد الملك المَلْشُوني وابنه إسحاق، عالمان يُحمل عنهما العلم". ياقوت الحموي: معجم البلدان، ت: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٩٩٠م، مج٥، ص ١٩٢.

(٢٤٣) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٠٢.

(٢٤٤) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٧٨-٧٩.

(٢٤٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٢٤٦) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٠.

(٢٤٧) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٦٦-٤٦٧.

(٢٤٨) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٣؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص ١٣٠.

(٢٤٩) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٨٥.

(٢٥٠) المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٢٥١) المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٢٥٢) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٧؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٦٣.

(٢٥٣) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢٥٤) هو عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان، من جلة علماء المغرب الراسخين في العلم، ولد بالقَيْرَوَان، وتوفي بها سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص٩٢-٩٣.

(٢٥٥) المصدر السابق، ج٣، ص ٩٣.

(٢٥٦) نفسه.

(٢٥٧) نفسه.

(٢٥٨) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٧١.

(٢٥٩) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٨٤.

(٢٦٠) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٨٧.

(٢٦١) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٥.

(٢٦٢) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ١٨٢. والقَلَنْسُوَة: لباس مستدير مُبَطَّن يوضع على الرأس. يُقال: تقلنس الرجلُ إذا لبس القَلَنْسُوَة، وقد لبسها بإفريقية: الأمراء والقضاة والعلماء والعوام، انظر الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، الجزائر، ١٩٧٤م، ج١، ص٦١؛

R. Dozy: Dictionnaire dé taillé dés noms dés vétements chez les Arabes, Amsterdam, 1845, p. 365.

(٢٦٣) رياض النفوس، ج١، ص ٣٤٠.

(٢٦٤) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٠؛ المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٧.

(٢٦٥) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٥٩٥.

(٢٦٦) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٩.

(٢٦٧) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٣.

(٢٦٨) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٥- ٣٥٦.

(٢٦٩) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٣.

(٢٧٠) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٧؛ وانظر أيضًا الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص٥١- ٥٢. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإمام سحنون هنا يقصد فقهاء الحنفية الذين داروا في فلك الأمراء الأغالبة يبررون سياساتهم بالتأويل، انظر محمود إسماعيل: دراسات مغربية جديدة، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٧م، ص ٥٨.

(٢٧١) هو أحمد بن موسى الأشعري من ولد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو أحد فقهاء إفرِيقيّة، عُرِفَ بحمديس القطان الإمام الفقيه الفاضل، تفقَّه بسحنون وبغيره. كان لا يُسَلِّم على

أحد من أهل الأهواء كثير التَّجَنُّب للسلطان. وكان في بداية أمره شريكًا مع عبد الجبار بن خالد في القُطن يعملان بسوق الأحد فيه. توفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٠٧-١١١؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٠٦- ١٠٧.

(٢٧٢) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٩.

(٢٧٣) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٣٧.

(٢٧٤) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٥٢٥.

(٢٧٥) هو أبو البشر زيد بن بشر، من أهل مصر، رحل منها، فسكن مدينة تونس، وظلَّ بها حتى توفي سنة (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م)، انظر: أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية، ص ٢٢٦.

(٢٧٦) عُرِفَ صنَّاع الأحذية وأجزائها من (شسوع ونعال) بالحذَّائين والنعَّالين والخرَّازين، انظر البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتِين والحكام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٦١؛ عبد السلام بنسودة: حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق، العدد: ١،٢، يناير ١٩٧١م، ص١١٢؛ إبراهيم السيد شحاته: الصناعات في المغرب منذ القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٣٤.

(٢٧٧) القِبَالُ: زِمامُ النَّعلِ، وهو السِّير الذي يكون بين الإصبعين، انظر: ابن الأثير أبو السادات: النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، السعودية، ٢٠٠٠م، ص٧٢٩.

(٢٧٨) المالكي: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٩٠-٣٩١.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا. المصادر:

- ابن الآبار (محمد بن عبد الله القُضَاعي البَلَنْسِي، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م):
١- **الحُلَّة السِّيَرَاء**، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.
- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن بن أبي الكرم الشيباني، ت ٦٣٠هـ):
٢- **الكامل في التاريخ** (ج٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن الأثير أبو السعادات (أبو السعادات المبارك محمد الجَزْرِي، ت ٦٠٦هـ):
٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، دار ابن الجوزي، السعودية، ٢٠٠٠م.
- الباجي المسعودي:
٤- **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٢م.
- البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ):
٥- **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م):
٦- **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتِين والحكام المعروف بفتاوى البرزلي** (ج٢)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- البكري (أبو عُبَيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):
٧- **المسالك والممالك**، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، ت٢٤٨هـ/٨٦٢م):
٨- **فتوح البلدان**، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د. ت).
- ابن تميم (أبو العرب، ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م):
٩- **طبقات علماء إفرِيقيّة وتونس**، ت: علي الشابي، ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.
١٠- **المحن**، ت: د. يحيى وَهيب الجبّوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف، ت ٨١٦هـ):
١١- **التعريفات**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

- ابن جماعة الكِناني (الإمام القاضي بدرالدين محمد بن إبراهيم، ت ٧٣٣هـ):
١٢- **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالِم والمتعلم**، شركة دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، ط٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي، ت٥٩٧هـ/١٢٠١م):
١٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ت: محمد عبد القادر عطا وأخوه مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- الحِمْيَرِي (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت في القرن ٩هـ/١٥م):
١٤- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.
- ابن حَوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م):
١٥- **صورة الأرض**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).
- الخُشَنِي (محمد بن الحارث، ت٣٦١هـ/٩٧١م):
١٦- **طبقات علماء إفريقية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٧- **قضاة قرطبة وعلماء إفرِيقيّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- ابن الخطيب (لسان الدين، ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
١٨- **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، القسم الثالث (تاريخ المغرب في العصر الوسيط)، ت: د. أحمد مختار العبادي، وأ. محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
١٩- **العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، (ج٤)، طبعة سلسلة الذخائر ١٥٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٠- **المقدمة** ، ت: د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- ابن خِلِّكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خِلِّكَان، ت ٦٨١هـ):
٢١- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (ج٣)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

- الدبّاغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت٦٩٦هـ):
٢٢- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي المتوفى سنة٨٣٩هـ، ت: د/ عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت حوالي ٦٧٠هـ):
٢٣- **طبقات المشائخ بالمغرب**، ت: إبراهيم طلاي، الجزائر، ١٩٧٤م.
- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م):
٢٤- **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، ت ٧٤٨هـ):
٢٥- **سير أعلام النبلاء (ج١٢)**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ٢٠٠١م.
- الرقيق القيرواني (إبراهيم بن القاسم، ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م):
٢٦- **قطب السرور في أوصاف الأنبذة والسرور**، مجمع اللغة العربية، سوريا، ١٩٦٩م،
- الزُّبيدي (أبو بكر الحسن الزبيدي الأندلسي، ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م):
٢٧- **طبقات النحويين واللغويين**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب (٥٠)، طبعة دار المعارف بالقاهرة، (د.ت).
- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م):
٢٨- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتِي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٧م.
- ابن سحنون (محمد بن سحنون، ت٢٥٦هـ/٨٦٩م):
٢٩- **آداب المعلمين**، ت: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢م.
- السرخسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل، ت ٤٩٠هـ):
٣٠- **المبسوط** (ج١٦)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م):
٣١- **طبقات الفقهاء**، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت،١٩٧٠م.
- ابن عِذَارِي (أبو العباس أحمد بن محمد، ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م):

٣٢- **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، (ج١) ت: ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

- العراقي (زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، ت ٨٠٦هـ):

٣٣- **طرح التثريب** (ج٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

- عِياض (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى السَّبْتِي، ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م):

٣٤- **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، ت: د. محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٨م.

٣٥- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ت: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- ابن فرحون المالكي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٧٩٩هـ):

٣٦- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ت: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي، ت ٧٧٠هـ):

٣٧- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الجزء الثاني، صححه: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ١٣٤٢هـ.

- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت ١٠٩٤هـ):

٣٨- **الكليات**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٤٩٤هـ):

٣٩- **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفرِيقيّة وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ت: بشير البَكُوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- المقدسي (شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م):

٤٠- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، لَيْدن، ط ٢، ١٩٠٩م.

- مقديش (محمود بن سعيد السفاقسي، ت١٢٢٨هـ):

٤١- **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ت: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- المقري (أحمد بن محمد، ت ١٠٤١هـ):

٤٢- **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج١، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ):

٤٣- **لسان العرب** (ج٥، ج١٣)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٤٤م.

- مؤلف مجهول:

٤٤- **العيون والحدائق في أخبار الحقائق** (ج٤)، ت: عمر السعيدي، المعهد الفرنسي، دمشق، (د.ت).

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت ٧٣٣هـ):

٤٥- **نهاية الأرب في فنون العرب**، (الجزء الرابع والعشرون)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- ياقوت الحموي (أبو عبد الله الحموي الرومي، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٤٦- **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٩٩٠م.

- ابن يونس (أبو سعيد عبد الرحمن، ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م):

٤٧- **تاريخ ابن يونس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

ثانيًا المراجع:

- أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي:

٤٨- **المنهل العذب في أخبار طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.ت).

- حسن حسني عبد الوهاب:

٤٩- **مجمل تاريخ الأدب التونسي**، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٨م.

٥٠- **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مكتبة المنار، تونس، ط٢، ١٩٧٢م.

- حسين مؤنس:

٥١- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة بالقاهرة، ط٢، ٢٠٠٤م.

- خالد حسين محمود:

٥٢- **الرقيق والحياة الاجتماعيَّة ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام**، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.

- دلال لَواتي:

٥٣- **عامة القيروان في عصر الأغالبة**، رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠١٥م.

- رابح بونار:

٥٤- **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ١٩٨١م.

- عبد الرحمن بشير:

٥٥- **الفقيه والسلطان_ الفقهاء والاعتزال والدولة في المغرب الإسلامي**، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيَّة، الجيزة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- عبد العزيز المجدوب:

٥٦- **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- علي أومليل:

٥٧- **السلطة الثقافية والسلطة السياسية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

- الفِرد بِل:

٥٨- **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

- لَخضر محمد بولطيف:

٥٩- **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٩م.

- ليليا بنسالم وآخرون:

٦٠- **الأنتربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي**، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.

- محمد الطالبي:

٦١- **الدولة الأغلبية_ التاريخ السياسي**، ترجمة: د/المنجي الصيّادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف:

٦٢- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، خرَّج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣هـ/١٤٢٤م.

- محمود إسماعيل:

٦٣- **الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ) سياستهم الخارجية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ط٣، ٢٠٠٠م.

٦٤- **دراسات مغربية جديدة**، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٧م.

- ميخائيل أماري:

٦٥- **المكتبة العربية الصقلية_ نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، ليبُسك، ١٨٥٧م.

- ناريمان عبد الكريم أحمد:

٦٦- **مجتمع إفريقية في عصر الولاة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

ثالثًا. الرسائل الجامعية:

- إبراهيم السيد شحاته:

٦٧- **الصناعات في المغرب منذ القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٤م.

- صلاح عثمان أحمد عثمان:

٦٨- **الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة وطرابلس منذ القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفرِيقيّة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.

رابعًا. الدوريات العلمية:

- أحمد الأسود:

٦٩- **عيسى بن مسكين والتراجم المالكية**، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول بعنوان (النخب والسلطة السياسية من خلال كتب الطبقات)، تونس ١٦،١٧،١٨ نوفمبر ٢٠١٢م، جمع النصوص وأشرف على نشرها: د/ إبراهيم جدلة، الأطلسية للنشر، ٢٠١٤م.

- طه عبد المقصود عبد الحميد:

٧٠- **المقاومة السنيَّة للدولة الفاطمية في المغرب،** مجلة قسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم –جامعة القاهرة، ع ٢٦، ديسمبر، ٢٠١٢م.

- عبد الحميد محمود حمودة:

٧١- **النظام القضائي في القيروان في عصر الأغالبة ١٨٤هـ-٨٠٠م/٢٩٦هـ-٩٠٨م،** مجلة المؤرخ المصري الصادرة عن قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة، ع١١، ١٩٨٦م.

- عبد السلام بنسودة:

٧٢- **حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس،** مجلة دعوة الحق، العدد (١، ٢)، يناير ١٩٧١م.

- محمود عبد المقصود ثابت بعنوان:

٧٣- **الدور السياسي للعلماء في دولة الأغالبة (١٤٨-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م)**، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، ع٤، يوليو ٢٠١٤م.

خامسًا. المراجع الأجنبية:

- De Epalza (M.):

74- "**Al-Munastir d'Ifriqiya et Al-Munastir de Xarq-Al-Andalus"**, in Le patrimoine andalou dans la culture arabe et espagnole, Tunis,1992.

- Dozy (R):

75- **Dictionnaire dé taillé dés noms dés vétements chez les Arabes**, Amsterdam, 1845, p. 365.

- Faouzi Mahfoudh (H):

76- **"Qasr Al –T Û b: Un Ribat du Sahel tunisien, cadre géographique et historique",** in Africa, XVII,1999.

- Marçais (G.):

77- **La berbèrie Musulmane et l' orient au Moyen àge**, Paris, 1946.

- Vonderheyden (M.):

78- **La berberie orientale sous la dynastie de Benoù L' Arlab**, Paris, 1927.